15me Année No. 709

Lundi — 3 — 2 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٧٠٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ٣ فبراير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

أوليـــــاء ... وأعداء

حياك الله يا سورية ! ورعاك الله يا لبنان ! لشدَّ ما قضيتما حق الأُخُـوة ، وبيضتما وجه العروبة ! آسيتمانا حين صرَّح البغي عن محضه ، وحسر الباغي عن قناعه ؛ وآزرتما النيل حين صمم أن يدافع عن حوضه ، وأن يعبئ كل القوى فى دفاعه .

أما شرق الأردن ففيه جلوب ؛ وأما العراق ففيه كرنواليس ! والرجُلان رِجْلان من أرجل الأخطبوط الضخم الذى أمن الحوت فسيطر على معظم الماء وأكثر اليبس . ورِجْل الأخطبوط خَتْم على أفواه الساسة ؛ يوضع بحذر ، ويُرفع بقدَر . ولطالما كابد ساستنا مشقة هذا الختم أيام كانوا للأخطبوط أرقاء أو أصدقاء !

والاستعمار — كشف الله عنا ضره — على الأفواه كمامة ، وعلى العيون غمامة ، وعلى الآذان حجاب ، وفى الأعناق غلّ . ولكن الأمم العربية التى تستمد غذاءها الروحى من عقيدة الإسلام ، وآداب العرب ، وتاريخ الفتوح ، وحضارة الرشيد ، وثقافة المأمون ، لا يسعها إلا أن تخالف الرؤساء والزعماء لتتفق فى الشعور ، وتتحد فى الوجهة ، وتتعاطف فى المكروه ، وتتناصر فى الشدة . ولن تكون هذه العقارب التى يبثها الأخطبوط على دعاة الوحدة العربية إلا طعمة للنار المقدسة التى يشبها شباب العرب لتذيب الغش وتنفى الخبث وتكشف عن المعدن الصحيح .

برح الخفاء ، ونصل صبغ الرياء عن طبع إنجلترا فبدا على لونه الأصيل من خبث العنصر ولؤم الفطرة . وأصبح الأمر بيننا وبينها فى ذمة مجلس الأمن ، وهو الجهة التى زعموها موئل الحق ومثابة العدالة . فهل كان يظن جون بول أن مصر التى ظل خمسا وستين سنة يتصرف فى حكومتها وشعبها تصرف الراعى فى القطيع ، تقف منه موقف الند من الند فى مجلس القضاء الأممى تدمغ باطله بالحق ، وتدحض هراءه بالمنطق ؟ الحق أن صرح الامبراطورية يوشك أن ينهار ما دام أمرها قد انتهى إلى سلطان العدل . وهل هى إلا بنيان شاهق من الزور المتراكم والظلم المتراكب يسنده دعامتان من دهاء السياسة وضخامة الأسطول ؟ على أن الدهاء قد فضحته يقظة الناس ، والأسطول قد نسفته طاقة الذرة . فماذا بقى لسيدة البحار ؟ إن إنجلترا غنية بغيرها ، فلا تستغنى بنفسها إلا يوم تروض حلوقها ثانية على ازدراد القواقع والسمك . والرجل الذى يعيش على الناس يكون مع القوة لصاً يسلب ، ومع الضعف متسولا يستجدى . وقد زالت وسائل اللصوصية عن انجلترا باستيقاظ الوعى فى الأمم المستعمرَة ، وانخزال السلاح البحرى عن الأسلحة الحديثة ، والتجاء الدول إلى تحكيم القانون فرقا من المدمرات الخفية ، فلم يبق لها إذن غير التسول بالمفاوضة ، والتملق بالمعارضة ، والتسلل إلى البلاد فى ثياب الخؤولة من طلاب الملك أو الحكم أو المال ، كما تتسلل الجراثيم إلى الأجساد على أرجل الذباب وأفواه الكلاب وأجسام الفئَرة ! فإذا عرفنا نقلة الجراثيم عرفنا مصدر الوباء ، وإذا أمنا دسائس الخصم أمنا جور القضاء .

احمد حسن الزيات

أفراح الحياة وآلامها

للأستاذ عباس محمود العقاد

تلقيت من بغداد رسالة لصاحب التوقيع الفاضل جاء فيها :

« ... بينا كنت أقلب هذا السفر الجليل — يسألونك — وجدتني أقف أمام جملة في تعقيبكم على كتاب — مع أبي العلاء في سجنه — وهي :

« ... ما زلت أعتقد وأزداد مع الأيام اعتقاداً أن بغض الحياة أسهل من حب الحياة ، وأن الأدوات النفسية التي تلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غوراً من أدوات النفس التي تلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الكبرى . فالفرح أعمق من الحزن في رأيي ولا مراء . أما الفرح فهو القدرة والانتصار »

فهلا تفضل سيدي بشرح هذه العبارة ... الخ .

الكاظمية جعفر آل ياسين

والموضوع يستحق التفصيل ؛ لأننا في الشرق لا نزال قادرين على الحزن عاجزين عن الفرح ، أو قادرين على التشاؤم عاجزين عن التفاؤل . وربما كان فرضاً أقرب إلى السلوب منه إلى الثبوت . فكثير من أفراحنا ناشيء من قلة الفكر وقلة المبالاة ، وقليل منها ناشيء من فهم أسباب الكمال ومعارض الجمال في هذه الحياة .

والألم أسهل من السرور لأن أدوات الألم ميسرة للطفل والجاهل مقصورة على الإنسان .

وأدوات الألم هي الحواس الجسدية ، وهي كافية لإشعار صاحبها بجميع المؤلمات والأوجاع التي يشتمل عليها عالم الحس المتسع لجميع الأحياء ، ومنها الإنسان .

كل حيّ يستطيع أن يشعر بشوكة الوردة ، لأن الشعور بها لا يحتاج إلى أكثر من جلد وأعصاب .

ولكن الجلد والأعصاب لا تكفي للشعور بجمال الوردة ونضرتها ومعاني الصباحة والحسن التي تتراءى بها للعيون والأذواق ، وتتمثل بها في عالم الخيال .

وكل حي يستطيع أن يرى ظواهر الأشياء ويسمع ظواهر الأصوات ، فإذا دخل هذا الحي دار الآثار أو دار الفنون الموسيقية ، رأى وسمع كل ما يرى بالعيون ويسمع بالآذان . ولم يجد فيما رآه أو سمعه مدعاة إلى السرور أو مدعاة إلى تكرار الزيارة باختياره .

ولكن إذا ملك من أدوات النفس حاسة فوق حاستي البصر والسمع — وهي حاسة الذوق — عرف مواضع الفرح فيما رآه وسمعه . ونظر في دار الآثار إلى جمال الصناعة ودلالة المعاني التاريخية الخالدة ، وسمع في دار الفنون الموسيقية آيات التعبير المتسق وأسرار العاطفة الخفية التي تترجم عن نفسها بلغة الألحان .

كل إنسان يستطيع أن يخسر في الحياة ، لأن الخسارة فيها مضمونة للعاجز الذي لا يحسن الفهم ولا يحسن العمل . فكل عاجز « قادر » على أن يأخذ نصيبه من خسائر الحياة بغير عناء ، وقادر على أن يأخذ الألم مع الخسارة ، لأنه يأتي معها بغير دعوة !

ولكن القدرة على الانتصار في الحياة لا تشيع بين الناس شيوع العجز والقصور .

نعم إن القادرين قد يخسرون والعاجزين قد يكسبون . ولكنّ هذا لا ينفي الحقيقة التي يعرفها القادرون والعاجزون ، وهي أن القدرة أندر من العجز وأن أدوات العجز ميسرة للأكثرين ، وأدوات القدرة لا تتيسر لغير القليل .

***

كل إنسان يستطيع أن يجد في تمثال المرمر وسيلة إلى الألم ، لأنه يحصل على الألم بصدمة في الرأس ، والقدم . ولكنه لا يحصل على السرور الذي يوحي به التمثال إلا إذا أدرك محاسن الفنون وعرف صاحب التمثال وما عمله في حياته وما استحق به هذا التخليد بين قومه وقادري فضله وجهاده .

ولا يعنينا هنا أن تكون الأفراح في الحياة أكثر من الآلام أو تكون الآلام فيها أكثر من الأفراح .

وإنما يعنينا أن أدوات الألم ميسرة للأكثرين ؛ وأن

الأفراح التي تحتاج إلى فهم غير فهم الظواهر حقيقة مقررة لا يدركها غير القليل .

وصحيح أن النفس إذا ارتفعت شعرت بآلام لا تشعر بها النفوس الوضيعة وأدركت مواطن للشر لا تدركها الطبائع المغلقة والضمائر العمياء ؛ ولكن هذا لا يغير الحقيقة التي أسلفناها ! وهي أن الألم في جملته لا يحتاج إلى أدوات نادرة بين الأحياء ، وأن كثيراً من المخلوقات تستطيع أن تتألم وهي في المرتبة الدنيا من مراتب الحياة ، ولا تستطيع أن تفرح إلا إذا توافرت لها صفة « وجوبية » غير سلبية ، وهي على الأقل صفة الصحة واعتدال المزاج .

ونعمم هذه الحقيقة فنقول إن المؤلمات سلوب وإن المفرحات ثبوت . لأن الألم يأتي من الفقد ، والفرح يأتي من وجود شيء يُفرح أو يصدر منه الفرح . ولا حاجة بالإنسان إلى أداة للفقد والخسارة ، ولكنه يحتاج إلى أدوات كثيرة للإيجاد والتحصيل .

وقد مضى على الشرق زمن لم تسمع فيه غير الشكاية والحزن في شعره ونثره ، وغير الشكاية والحزن في مواعظه وخطبه ، وغير الشكاية والحزن في جملة أحواله وأعماله . ولم يكن ذلك الزمن الذي عمت فيه الشكاية والحزن زمن القدرة والعمل بل زمن الفقد والكسل . لأن الأدوات النفسية التي تلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غوراً من أدوات النفس التي تلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الكبرى .

والطفل يبكي في اللحظة الأولى من حياته ، ولكنه لا يعرف الابتسام قبل بضعة أشهر . لأنه في البكاء لا يحتاج إلى أكثر من صوت وهواء . ولكنه يحتاج قبل الابتسام أن يعرف وجه أمه وأبيه وأن يدرك العطف بينه وبين أمه وأبيه .

***

وإذا تركنا شعور الضرورة إلى شعور المشيئة والاختيار تبين لنا أن الإنسان سريع إلى كشف النقائص والعيوب في الناس بطيء في كشف المحاسن والمزايا . بل مغالط فيها بعد كشفها ومكابر في الشهادة بها لأصحابها .

فهو محجوب عن المحاسن باختياره وبغير اختياره :

محجوب عن محاسن الدنيا ما لم يتهيأ لها بأدوات الذوق والمعرفة وعمق البديهة وسمو الخيال .

ومحجوب عن محاسن الناس ، لأنه يحب أن يستأثر بالمحاسن لنفسه أو يحب أن يبالغ في تعظيم مزاياه وتصغير مزايا غيره . فلا يحتاج إلى أكثر من الأنانية العمياء ليجهل فضائل الآخرين ومظاهر الكمال في المخلوقات ؛ ولكنه يحتاج إلى النبل والإنصاف ورحابة الصدر ليعرف تلك الفضائل وينعم بعرفانها ويوفيها حقها من العطف والإعجاب .

فهو في معرض الدنيا معصوب العينين حتى ترتفع العصابة عن عينيه فيتعلم بعد جهل ويقتدر بعد قصور ، ويغتبط بجمال من رآه بعد أن كان لا يراه .

وهو في معرض الحياة البشرية يضع كفيه على عينيه باختياره ولا يرفعهما حتى ترتفع عن ضميره عصابة الأثرة والجحود ، وينفذ إليه شعاع النور من عالم الحق والإنصاف .

لهذا صح أن يقال إن أدوات الآلام أسهل وأعم من أدوات الأفراح ، وإن كثيراً من الناس قادرون على الشعور بالألم في أعم حالاته ، ولكنهم لا يقدرون على الشعور بجميع الأفراح ولا بجميع الرضيات .

وإذا طبقنا هذه الملاحظة على أبي العلاء وجدنا أنها تنطبق عليه وعلى زمانه ، وتدل في حالته أيضاً على سهولة أسباب الألم وصعوبة أسباب الفرح بالنظر إليه وبالنظر إلى الزمان الذي عاش فيه .

فهو حبيس كسير في عقر داره ، وزمانه زمان الفتن والحروب وزمان التقلب والنفاق ، وغاية الأمل فيه أن يسلم من الشرور أو يتغلب عليها بشرور أكبر منها ، وكلاهما بلاء على الكريم وبلاء على اللئيم ، وقضاء يلوذ منه الحائر بالقبوع أو بالقنوع .

***

وبعد فيكفي أن نعلم أن الإنسان مطالب بتحقيق أسباب الفرح وغير مطالب بتحقيق أسباب الألم ، لنعلم أن الفرح يحتاج إلى الأداة وأن الألم لا يحتاج إلى أداة ، بل إلى نجاة !

عباس محمود العقاد

لغـــة العبيد .. !

للأستاذ سيد قطب

عندما قام الرئيس « لنكولن » بحركة تحرير العبيد في أمريكا لم يكن خصومه هم « السادة » وحدهم ، بل كان بعض « العبيد » أيضاً حرباً عليه !

كان بعضهم يهرب من « الحرية » التي يهبها له « لنكولن » ليرتد إلى « العبودية » في بيت أسياده لأنه لا يطيق تكاليف الحرية ولا يستطيع مواجهة الحياة مستقلا !

ليس عبيد أمريكا وحدهم هم الذين يهربون من الحرية ؛ فعندنا في مصر ، وفي سائر بلاد الشرق « عبيد » من نوع آخر عبيد يتزيون بزي الأحرار ، ولكن في أعماق نفوسهم تلك العبودية التي يهربون إليها بين الحين والحين !

في عـدد ديسمبر من مجلة « الكاتب المصري » قرأت للدكتور حسين فوزي مقالا بعنوان « جولة في ما بعد الحرب » جاءت فيه هذه الفقرات :

« شعور واحـد يتملكني في عشرة أيامي الأولى بلوندرة : شعور الإعجاب المتناهي بعاصمة الدولة التي أنقذت العالم من أعظم الشرور التي حاقت به في تاريخه الطويل . قلب الأمة الباسلة العنيد التي وقفت وحدها في مواجهة الأفاقين البرابرة الذين تحدوا البشرية جمعاء ، والتي تلقت الضربات الوحشية تنصب عليها من السماء حما ونارا ، ومن قاع البحر حما ونارا .

« كنت فخورا بإنسانيتي ، إذ وجدت من هؤلاء الناس درعا وواقيا للحضارة . وسـواء عندي أن يكون دفاع الإنجليزي عن بلاده وحضارته وإمبراطوريته ، ما دام هذا الدفاع في ذاته ذودا عن الحضارة والإنسانية قطعا .

« أنا هنا بين رجال ونساء راضين بما حققوا . غلبوا على أمرهم ، وطردوا من أوربا والملايا ، وقطعت عليهم أغلب طرقهم البحرية ، وهاجمتهم الطيارات والقنابل الطائرة والنواسف في كل مكان ، وأنذروا بالفناء قبل الغزو ، أو بالغزو فالفناء . ضيق عليهم أعداء البشرية الخناق ، على حدود مصر والسودان ، وفي العراق وكريت ومالطة والهند ، ولكنهم ثبتوا كصخور مالطة ودوفر وجبل طارق ، وردوا الضربات بأقل منها ، فبمثلها ، فبأضعاف أضعافها . ثم جاء دورهم في الغزو ، فنزلوا بالقارة الأوربية ، وحرروا فرنسا والبلجيك وهولاندة وإيطاليا ، ثم استعادوا بورما والملايا ، واكتسحوا قطعان الذئاب الفاشيستية يردونها إلى عقر أوكارها ، حتى قضوا عليها . وهم اليوم يتحكمون في ديارها . إن قدموا الخير فبشعور إنساني كريم ؛ وإن أعملوا الشر فبروح انتقام مفهوم ، عادل أو غير عادل تبعا لمزاج من يريد أن يبدي حكما » .

... « والصورة التي انطبعت في رأسي لبريطانيا بعد إقامتي القصيرة في لوندرة هي صورة شعب عامل مجد ، محب للنظام والعدالة ، يحترم حكومته لأنه اختارهـا ، ويتبرم بها تبرم الأخ بأخيه يوما أو بعض يوم . صورة شعب أمين في معاملاته ، منطق في عمله ، دون أن يكون المنطق حسـاب في تفكيره ، يعوزه القلق على معاشه ومستقبله في العالم ، مع تمسك بالقيم الروحية المطلقة التي تترجم بالعلم والفن والأدب ، والقيم الروحية في السياسة التي تترجم بالنظر إلى العالم نظرة الشعب المسئول عن الخير العام للبشرية . وهذه في رأيي مقومات الحضارة في شعب كبير وأمة عظمى » . ثم يقول عن فرنسا :

« لحظة اللقاء ، لمست أقدامي أرض فرنسا بعد طول الغياب ، « أمنا فرنسا » ، كما يقول أهل لبنان ، وحبيبتنا باريس . لن أنساك يا فرنسا قبل أن أنسى نفسي . تقطع يداي قبل أن يغدر بك ربيبك يا باريس ! » .

كاتب هذه الفقرات مصري شرقي — وهو رجل أعرفه ، وبيني وبينه مودة ، ولكن مودات الأرض كلها لا تخدر ضميري وأنا أقرأ هذه السطور !

هذا الرجل مصري شرقي ، يرى كيف تعامل انجلترا بلاده ، وكيف تعامل فرنسا أمم الشمال الإفريقي ، ويعرف كيف تصنع انجلترا في الهند ، وكيف تصنع فرنسا في الهند الصينية ... ثم يكتب كل هـذا « الغزل » في الدولتين الاستعماريتين اللتين تدوسان قومه وأقرباءه بالأقدام !

وأعجب شيء أنه كان « فخوراً بإنسانيتـه » في لوندرة ! أية إنسانية تلك التي ترى الاستعمار ينتهك كل حرمات الإنسانية ، ويمتص دماء المستعمرات ، ويذل أهلها ويسلب أقواتهم وأرزاقهم ، ويبقيهم في ربقـة الجهل والتأخر والتوحش أحيانا حتى لا يفقد

قدرته على استغلالهم . ثم لا تغضب ، ولا تتألم ، ولا تثور ؟

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز يسلبون بلاده إنسانيتها . يفقرونها إلى حد أن يعيش الفلاح فى مستوى أقل من مستوى الماشية . يسرقونها فى أسهم قناة السويس ، وفى ثمن قطنها وصادراتها لهم فى الحرب وغير الحرب ، وفى صفقات المناقصات العامة ، ويستنزفون غذاءها وفاكهتها وملابسها فى زمن الحرب بلا مقابل فينشرون فيها السل والأنيميا وشتى أمراض التغذية ثم يكادون يتنصلون من ديونهم القليلة . يستخدمونها فى الحرب بكل قواها ، ثم يتنكرون لها بعد الانتصار ... أولئك هم السادة الذين يفخر العبيد بإنسانيتهم حينما يرونهم ينتصرون !

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز بعد نصف قرن فى السودان لا يزال سكانه فى الجنوب عرايا وسكانه فى الشمال مبعدين عن إخوانهم فى الجنوب . بدافع التعصب الدينى . لأن دماء الصليبيين لا تزال تجرى فى دماء المستعمرين . وبدافع الاستغلال القذر لأن موارد الجنوب يجب أن تبقى للاستعمار !

نخور بإنسانيته . لأن الهند بعد ثلثمائة عام فى الحكم البريطانى ، لا تزال أفقر الشعوب وأقذرها . وهذه القذارة تنفر الدكتور حسين فوزى وتطلق لسانه بشتيمة الهند والهنود فى كتاب سابق له . ولكنها لا تحنقه إطلاقاً على الحكم البريطانى القذر لأن السادة لا يحنق عليهم العبيد !

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز حاربوا الصين مرة لسبب واحد ، وهو أنها عزمت على تحريم تدخين الأفيون . حينما تقتضى « الإنسانية » أن يظل الصينيون « مساطيل » لا يفيقون لأن « الانبساط » والانسجام خير يجب أن يتمتع به الصينيون .

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز نشروا وباء الكوليرا فى حربهم مع « البور » فى جنوب أفريقيا ؛ فكانت هذه وسيلة « إنسانية » للانتصار فى الحروب !

نخور بإنسانيته . لأن فاجعة « دنشواى » كانت انتصاراً للروح الإنسانية وللضمير الانسانى فى تاريخ الشعوب !

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز يقفون فى وجه التحرر لا فى مستعمراتهم فقط ، ولكن فى مستعمرات سواهم ، كما صنعوا فى أندونسيا ، حينما هبت تحارب الوحوش الهولنديين !

نخور بإنسانيته . لأن الإنجليز يرتكبون فى فلسطين من الجرائم الإنسانية ما تقشعر له الأبدان فى سنة ١٩٣٧ . واليوم يجلدهم اليهود علناً فلا يتحركون !

ثم « أمنا فرنسا ، ومربيتنا باريس » . . . إلى آخر هذا النزل السخيف !

« أمنا فرنسا — كما يقول أهل لبنان — ولم يكن منصفا فيقول : « كما كان يقول أهل لبنان » :

لقد تحرر لبنان من تلك العبودية يا دكتور فوزى . لقد تحررت أرضه ، كما تحرر ضميره . ولعلك لا تذكر واقعة اعتقال رئيس الجمهورية وأعضاء حكومته فى قلعة راشيا . تحرر لبنان فلم يعد يتعلق تلك الكلمة المجرمة الخنثة : « أمنا فرنسا » .

تحرر لبنان ، وتحررت سوريا . وبقى أن تتحرر مراكش ، وأن تتحرر تونس ، وأن تتحرر الجزائر . وبقى أن تنكمش هذه الدولة المتبربرة فى حدودها القومية . فإذا شئتم حينذاك أن تلجأوا إلى حضن أمكم الحنون . فمع السلامة . ولتذهبوا إليها هناك أجمعين !

واسمع هذه البرقية لمراسل الأهرام فى نيويورك :

« تلقت جريدة (نيويورك تيمس) رسالة من السيد محمد أبو الأحرص سكرتير (لجنة المطالبة بحرية شمال أفريقيا) طالب فيها بالحاح بوجوب رفع الستار (الحديدى) المضروب حول مراكش والجزائر وتونس وبالسماح للصحفيين الأجانب بحرية الدخول فى هذه البلاد الثلاثة .

وذكر السيد أبو الأحرص الذى يقول إنه يمثل عشرين مليونا من سكان شمال أفريقا أنه حدث فى يوم ١٢ مايو سنة ١٩٤٣ أن قتل عشرة آلاف وطنى تونسى وسجن أربعون ألفا من غير محاكمة ؛ وأن عبد المنصف باى تونس عزل ونفى مع أن الحلفاء يملكون من الوثائق ما يثبت أنه كان يقاوم سلطات الاحتلال الألمانية مقاومة شديدة .

وزعم أخيراً أنه فى يوم النصر فى سنة ١٩٤٥ ذبح أربعون ألفاً من الجزائريين وسجن مائتا ألف ونهبت بيوت ثلاثة آلاف من الوطنيين » .

وعلام كل هذا النزل ؟ و« شعور الإعجاب المتنامى » ؟ لأن هذه الأمة ، إنجلترا « وقفت وحدها فى مواجهة الأفاقين البرابرة الذين تحدوا البشرية جمعاء » !

أى أفاقية ؟ وأى برابرة ؟ يا دكتور فوزى ؟ وأية بشرية تلك التى تحدوها ؟

الأفاقون والبرابرة هم أولئك المستعمرون الذين يمتصون دماء البشرية ، ليتوافر للانجليزى الزبد والويسكى والديكة الرومية فى عيد الميلاد !

الأفاقون والبرابرة ، هم الذين يتسببون فى إصابة مليون مصرى بالسل فى زمن الحرب ، لأنهم يسرقون المواد الغذائية مقابل عملة ورقية لا رصيد لها ؛ ثم يتنكرون لمصر وللدين المصرى الزهيد !

الأفاقون والبرابرة هم الذين يجلدهم اليهود علنا فى الشوارع ، فلا يحركون ساكنا ، بينما يمثلون بالجثث أشنع تمثيل حينما يهب العرب للمطالبة بحقهم المشروع !

ولقد كان جائزاً أن تنتشر هذه الأسطورة : أسطورة أن الإنجليز غير الألمان وأن هؤلاء وحدهم أفاقون وبرابرة ، وأن الإنجليز حماة الإنسانية المتحضرون . حينما كانت رحى الحرب دائرة . حينما كان الذهب الإنجليزى — أو البنكنوت المزيف — يتدفق على مراكز الدعاية ، وفى جيوب الصحفيين والكتاب ، فتنطلق الألسنة بالحمد والثناء لحماة الديمقراطية ، والحرية ، وتنطلق بالهجاء والاتهامات للبرابرة الألمان ، وحينما كانت الدعاية الإنجليزية تملأ الآفاق بتشريات الحرية العالمية ، والأمن من الجوع والخوف والمرض والجهل . وحينما كان المخدوعون يستغرقون فى الأحلام اللذيذة على صدى هذه الوعود الجميلة .

ويومها كم من أصوات ارتفعت فى محطات الإذاعة بالشرق ، وكم من أقلام انطلقت فى صحافة الشرق ، تمجد أولئك الملائكة الأطهار الذين يريقون دماءهم فى سبيل البشرية المهددة بالوحوش النازيين !

ذلك أن الذهب الإنجليزى — أو البنكنوت المزيف — كان من القوى والتدفق بحيث ينطق البكم ، ويسمع الصم . وذلك أن الوعود المعسولة خدعت بعض المخدوعين ، فتاهوا فى أحلام الحرية والاستقلال والجلاء . وإن كان ضمير الأمة لم ينخدع لحظة واحدة ، لأنه كان أصدق حساسية من أولئك المذيعين والصحفيين والكتاب !

أما اليوم ، فكيف تبقى عين واحدة مغلقة . اليوم وقد خلع الإنجليز القفاز الحريرى وارتدوا جلد النمر . اليوم ما الذى يخدع مصرياً واحداً ، أو شرقياً واحداً ، فيطلق لسانه بمثل هذا الغزل العجيب ؟!

وفرنسا ، فرنسا أم الحرية ، كما يقول عشاقها ، كيف بعد حادث راشيا ، وكيف بعد مؤامرتها على قتل وزراء سوريا ونوابها فى البرلمان ، تلك المؤامرة القذرة التى لم تتم بسبب وقوع وثائقها فى يد الحكومة السورية فى الوقت المناسب .

فرنسا التى تذبح فى يوم النصر أربعين ألفاً من الجزائريين . والتى تقيم سوراً حديدياً حول الشمال الإفريقى كله ، يمنع عنه العلم والنور والحرية والتقدم . فرنسا هذه كيف يختلج بحبها ضمير إنسانى واحد ، بله أن ينطلق لسان لها بمثل هذا الغزل العجيب !

وليس المتنزلون فى انجلترا وفرنسا وحدهم هم عبيد الشرق المنكوب ! هنالك من يتغزل فى «روسيا» فى هذه الأيام . وحقيقة إن بعدنا عن فم الذئب بعض الشىء قد يجعلنا أقل حنقاً عليه . ولكن هنالك من ينسى مصريته ليذكر «روسيا» العزيزة ، أو تلك لغة العبيد .

لقد سمعنا طويلا : أمنا فرنسا ، أمنا انجلترا ، أمنا روسيا ! بابا ستالين ! كما سمعنا من يقول : تقدم يا روميل ! أيام العلمين !

ولقد آن أن يخفت صوت العبودية فى هذا كله ، ليرتفع صوت واحد : أمنا مصر . عمنا الشرق . أبونا النيل .

أيها العبيد ! تحرروا مرة من لوثات الضمير

أيها الدعاة فى الحرب وغير الحرب !

كفروا عن جريمتكم وعودوا مصريين . وشرقيين !

إن أوربا المتبربرة قطيع واحد من الوحوش الوالغة فى دماء البشرية ، المعتدية على كرامة الإنسانية ؛ فليس بإنسان من لا يغضب لكرامته ولكرامة «الإنسان» التى يذلها الاستعمار فى كل مكان .

وهذه البشرية لن ترفع رأسها إلا يوم أن تسحق هذه اللعنة البغيضة لعنة الاستعمار والمستعمرين . ونحن فى الشرق لا ينبغى أن يقوم بيننا وبين هذا الغرب المتبربر سلام ، إلا حين تنكمش هذه الوحوش الآدمية فى داخل حدودها أو فى داخل أقفاصها !

وما يجوز أن يرتفع صوت واحد بالثناء على قوم حاربوا لأنفسهم ، دفاعا عن الزبد الذى يأخذونه من بين شفتى العالم ، ليستمتعوا ، ويصاب بالسل آخرون

إن هؤلاء المستعمرين هم لعنة هذه الأرض التى لا يجوز أن نضمر لها غير الحقد والضغن . فهم الذين يثيرون الحروب العالمية ويتمسحون فى الألمان وغير الألمان .

والألمان مثلهم . . . كلهم سواء . وحوش آدمية متبربرة ، تبدى فى أزياء من الحضارة خادعة . فلن تكون حضارة صادقة مع ضمير متعفن كضمير الاستعمار .

الحقد ! الحقد المقدس أيها الشرق المنكوب هو وحده المنقذ حين يفتح فاه ، فيلتهم قطاع الطرق اللصوص .

أما أولئك المتغزلون فى أوربا فليتواروا حياء ، فليس الوقت وقت الغزل ، بل الساعة ساعة الصراع ألا ولتنطلق من كل فم وقلب صيحة واحدة مدوية : الموت للاستعمار والويل للمستعمرين !

سيد قطب

العجز قـــوة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

حينما أرى شيخوخة متهدمة فانية مدبرة الحياة تجرجر جسمها المتهالك كأنما تحمله حملا يبهر الأنفاس ويعيي الأوصال ، في مزدحم طريق مكتظ بأجسام القادرين على الزحام من الرجال ذوي الألواح العريضة والأرجل الخفيفة والخطوات الماضية في خيلاء الشباب وطفور القوة وعزة القدرة على نيل الأشياء ، وغرور الخدعة بالحياة ، وقد احتدمت الحركة والجلبة ومضت «دواماتها» العنيفة بتلك الشيخوخة ترمى بها المرامي وسط هذا العباب الزاخر حينئذ أشعر أن هذا العجز يقبض على قلبي بقوة غالبة تجيش لها نفسي وتستجيب لها استجابة لا أحسها في كثير من الأحيان التي يطالعني فيها مشهد من مشاهد القوة والاجتياح .

وحين أرى طفلتي الصغيرة تبدأ حياتها منذ أن فصلت عن حياة الرحم وكل سلاحها للعيش وآلاتها في الكفاح هو الصراخ واستنجاد بقوى من يحيطون بها من الوالدين والأقربين ، وتلك الغمزات الخفية على قلبي الأم والأب ، غمز الرحمة لهذا الضعف في هذا الجسم الصغير الضئيل الطريح الذي لا يملك دفع الذباب والنمال عن نفسه ولا جلب غذائه ، ومع ذلك فجميع من في البيت وما فيه مسخر لرضاها والسهر على الدفاع عنها وجلب المسرة والمنفعة لها ، أشعر كذلك أن العجز قوة يسخر لها جهاد الأقوياء ، وأشرف ما في النفوس البشرية من أريحية كريمة هي التي تبني الاجتماع وتجمل الأخلاق وتعلو بمستوى الإنسان بل والحيوان .

ولقد أدركت من شيخوخة أبي رحمها الله في سنتيها الأخيرتين ما كان يثير في نفسي لونا من الحنان الثائر والأشفاق والحساسية التي تبعث الدمع الهادئ اللذيذ حين كنت أرى ذلك العجز الذي طرأ عليها بعد قوة ولكنه مع ذلك سلحها بقوى جميع من في البيت ، وسخرهم لها يخدمونها في لهفة ويكفونها كل حاجاتها في رضا ويسألونها كذلك الرضا .

وعجز الشيخوخة أشد إثارة للرحمة والشعور والعاطفة من عجز الطفولة ؛ لأنه يريك الهيكل البشري في حالة من تاريخ قوته ، فتشعر أنك معه إزاء طلل لبناء عزيز كان عامرا فأضحى غامرا ، تسفيه الرياح ، وينال منه الإمساء والإصباح ، ويدبر منه ما كان مقبلا .

وقديما بكى الشعر على الأطلال وبحث في أصباغها الناصلة وشواخصها الماثلة عن الأشباح التي كانت تعمرها والصور والظلال والأصوات والذكريات التي وقعت عليها والنفس إزاء عوامل الفناء أشد حساسية وإرهافا منها إزاء عوامل الحياة ، لأن النفس من عالم الوجود فليست عوامل الحياة غريبة عليها غرابة عوامل الفناء . وعوامل الحياة تمدها بالطمأنينة والأمل والشعور بالاستمرار والامتداد ، أما عوامل الفناء فتأخذ منها الطمأنينة وتعطيها الرهبة والشعور بالنهاية وتقفها على حافة المجهول الذي مضى إلى هاويته كل ما كان ويمضي إليها كل ما هو كائن .

والعجز هو مدخل الإيمان وحجته الهادئة التي لا جدال معها لمنطق . فهو إن كان يثير أشرف ما في النفس وأعظمه أثرا في بناء روابط الاجتماع على أسس من الرحمة والعاطفة ، فهو كذلك يثير أشرف ما فيها وأعظمه أثراً في بناء الإيمان وروابط الإنسان بالله على أسس من الفكر والادراك . وقفة واحدة مخلصة من فكر الإنسان الضئيل المحدود وسط هذا الكون الجبار الحافل بالقوى ذات الهول والاجتياح والرحابة والدوام ، والأجرام السماوية ذات الأحجام والأرقام الفلكية ، كافية لأن تطلق من صدر الإنسان آهة عميقة فيها الإقرار بالعجز والاستسلام والانكار لمزاعم القدرة والاستطالة ، وصرخة وجلة دامية فيها طلب اللياذ والاحتماء في صدر كن رحيم حنون ، وكنف قوي مأمون هو كنف « الذي » بنى هذا الكون الهائل العاقل من هذه القوى الجبارة العمياء المجنونة التي تسير في نظم ولجم تمسكها يد القهر فلا تفلت ولا تلتوي ولا تجمح !

وإذا كان غرور الحياة في بعض النفوس البشرية قد سوّل لها أن تزعم مزاعم الاستكبار والإنكار ، فذلك لأنها نسيت عجزها وضعفها وسجنها في هذا الكون الذي لا يستطيع منه مهربا إذ دخلته على غير اختيار وستخرج منه على كره .

وهؤلاء الذين يثيرون بمنطقهم وجدلهم وزخرف قولهم الشغب والثورة على حكومة الكون ، ويعييك أن تقنعهم بالحجة الفالجة والحق الدامغ ، تستطيع أن تراهم يسرعون إلى الدخول فيما دخل إليه جمهور الناس من إيمان إذا ما ضربهم الزمان بالعجز وقيدهم بقيوده وطرحهم مطارح يرون فيها أنفسهم كائنات تافهة لا تملك لنفسها

في يوم المولد النبوي :

يا سيدي يا رسول الله !

للأستاذ علي الطنطاوي

[تسمعون السنة كلها حديث الدنيا
فاسمعوا اليوم حديث الدين]

الصلاة والسلام عليك ياسيدي يارسول الله ورحمة الله وبركاته

هذا يوم تشرفت في مثله الأرض بمولدك ، واستضاءت بنورك ، قد جعلناه بعدك عيداً — وأشهد ما شرعت لنا إلا «العيدين» — فنصبنا الأعلام ، و«أذعنا» الأنغام ، واجتمعنا على الخطب والكلام ، والشراب والطعام ، فالطرقات مزدحمة بالسرادقات ، والمساجد والمقابر ملأى بالزائرين والزائرات ، والصحف والمجلات ، فياضة بالفصول والمقالات ، وفي كل مكان مظاهر الأفراح والمسرات : في الشوارع والساحات ، والأزقة والحارات ...

فعلنا ذلك حباً بك ، وابتهاجاً بمولدك ، ثم أبنا إلى ما كنا فوجدنا هادئة ضمائرنا ، هانئة سرائرنا ، إذ قد وفينا لهذه الذكرى ، التي لم يمر على ذهن التاريخ الإنساني أعظم منها أثراً ، ولا أعلى قدراً ، ولا أبقى ذكراً ...

أما اتباع دينك ، والاهتداء بهديك ، والوقوف عند أمرك ونهيك ، فلم نفكر فيه ولم ندخله في « برنامج الاحتفال » !

فهل يعجبك يا رسول الله ما فعلنا ؟ هل يرضى به ربك عنا ؟

لقد بعثت بـ « لا إله إلا الله » . دعوت العرب إليها فأبوها ، فأمرت أن تقاتلهم حتى يقولوها ، وخيّرتهم بين السيف وبينها فاختاروا السيف عليها ، وآثروا أن يهلكوا عن أن ينطقوا بها ، استعصموا لأنهم عرفوا معناها ، فعلموا أنها ليست كلمة تقال بطرف اللسان ، ولكنها دستور للحياة كلها ، وصرف لها عن وجهتها ، وتبديل لكل صغيرة أو كبيرة فيها .

نفعا ولا عنها دفعا ، لا يحفل بهم الليل والنهار ، ولا تنظر إليهم السماء والأرض ، ويرون أنفسهم تذهب كما تمضي ورقة جافة أو تبنة تافهة .. عندئذ يأخذهم العجز بقوته السالبة التالية إلى عتبات ربهم يطرحون عليها قلوبهم ويعفرون بترابها وجوههم ويبللونها بدموعهم ويقولون مع أبي نواس :

ذهبت جِدّتي بطاعة نفسي   وتذكرت طاعة الله نضوا

ومن رحمة الله بالناس أن جعل الدور الأخير من حياة أكثرهم فترة عجز وضعف وخمود يدركون فيها حقيقة حياتهم وحقيقة الحياة كلها ويخلصون فيها لأنفسهم ، يصفون ما بها من غرور ويبصرون الطريق إلى الإيمان ، وتصح أحلامهم ويرعوي بالحلم ويتركون ميادين النزاع والأباطيل ويقولون مع ابن المعتز :

أخذت من شبابيَ الأيام   وتولى الصبا عليه السلام
وارعوى باطلي وبان حديث   النفس مني وصحت الأحلام

ولو استمر شباب الجسم وعنفوانه يصحب الناس إلى نهاية حياتهم ما ارعوى باطلهم ولا خف طيشهم ونزاعهم ، ولا صفت طباعهم من ثورة الأكدار التي تثيرها نوازع الشباب واحتداماته واندفاعاته ؛ لأن السر في اندفاع الشباب أنه يعتمد على ذخيرة من قوى الحياة التي تقتضيها آلات الجسم الصحيح والعيش الصحيح ، ولأنه لم يبصر كثيراً من الأحكام الصحيحة على الحياة إذ هو مشغول بإحساسه بفيض الحياة ونشوتها الغامرة ، فلم تترك له عجلتها الدائرة في جلبة وقوة أن يبصر الأشياء الثابتة ، لأن حركة الحياة في نفسه تزيغ نظره عن الأوضاع الصحيحة . فإذا ابتدأت العجلة تهدئ من دورانها شيئاً فشيئاً استطاع المرء أن يبصر الأمور في رَيْث وهَيْنة ويتملى في أوضاعها المختلفة فيحكم عليها حكما صحيحاً .

فلترد النفس في فترات إلى الشعور بالعجز وسط جبروت الكون وهول الطبيعة وإصرارها على قوانينها ، ودوامها في سلطانها ، حتى تشعر دائماً أنها في الكون شيء ربما يكون غير مذكور .. ولنأخذ من العدل قوانين تعدل قوانين القوة والبطش التي لا يدين الناس لغيرها

وليكن ما في العجز من ظلال عكسية لأوضاع القوة في الحياة سبيلاً لإيقاظنا إلى واجبات لا نراها إلا في هذه الظلال ، تلك الواجبات التي لا تسوقنا إليها القوة ، وإنما تسوقنا إليها الرحمة .

عبد المنعم خلاف

لا إله إلا الله : لاينفع ولا يضر إلا الله ، فلا تخش فى الحق غيره ، ولا تذلّ فى الرجاء لسواه .

لا إله إلا الله : هو القادر فلا تخف أحداً إن كنت معه ، هو البصير فلا تستتر بذنبك منه ، هو الرحمن فلا تيأس من رحمته ، هو الجبار فلا تأمن غضبه ، هو معك حيثما كنت يراك أبداً فاعبده كأنك تراه . هو الخالق البارئ المصور ، أعطاك البصر فلا تنظر به إلى عورة ، والسمع فلا تلقه إلى سوء ، واللسان فلا تحركه بمحرّم ، واليد فلا تستعملها فى عدوان ، والرجل فلا تمش بها إلى ظلم ، والبطن فلا تدخل فيه إلا حلالا ، وأنت منه وإليه لا تخرج لك عن ملكه . وهو المحيي المميت ، منحك الحياة فلا تنفق دقيقة منها فيما يكره ، وكتب عليك الموت فاذكره أبداً وتهيأ له ولا تنس أنه ملاقيك !

لقد كانوا أذكياء ففهموا معناها ، وكانوا أشرافاً فلم يحبوا أن يقولوا بأفواههم ، ما لا يحققونه بأفعالهم ، ولذلك استسهلوا القتل واليتم والثكل عن النطق بها ، ثم لما أعدم الله لها ، وكتب السعادة لهم فقالوها ، صاروا بها سادة الدنيا ، وخلاصة الإنسانية ، وملائكة البشر .

ونحن يا سيدى يا رسول الله ، نحن نقولها كل يوم ، على منائرنا ومنابرنا ، وفى أسواقنا ومنازلنا ، وعند دهشتنا ومسرتنا ، لا نرى كلمة أخف منها على اللسان ، ولكنها لا تجاوز ألسنتنا ، ولا تبلغ أفئدتنا ، ولا يكون لها أثر فى حياتنا فهل نحن مسلمون ؟

وجئتهم بالقرآن فحاربوه ، ومنعوا القارئين أن يتلوه ، وفروا منه حتى لا يسمعوه ، ولكنهم كانوا إذا وقعت إلى أحدهم الآيات منه ، بدلته تبديلا وجعلته رجلا آخر : أقبل عمر الغليظ الجافى ، عدو الإسلام الألد ، ليأتى الجريمة الكبرى ، فسمع آيات معدودات ، فإذا هو ينقلب إلى عمر المؤمن الرقيق العبقرى الذى أدار وحده إحدى عشرة حكومة من حكومات هذه الأيام بسلمها وحربها ، وقضائها وماليتها ، وداخليتها وخارجيتها ، وجليل أمرها وحقيره ، ما قصر فى شىء منه ولا أساء ، فكان نادرة الزمان ، وأعجوبة الفلك ، ونحن نسمع المرتلين يتلون القرآن فى كل لحظة وفى كل مكان ، فى الأفراح والأتراح والحفلات والإذاعات ، بحلوق لعلها أندى من حلق قارىء عمر ، ونغمات أحلى ، وأصوات أشجى ، ومعرفة بالتجويد وضبط المخارج والأداء ، وبصر بالألحان ، ولكنها لا تصنع بنا ماصنعت بعمر ، ما نجد لها إلا الاهتزاز والطرب ، كما نهتز لكل أغنية حلوة تسمعها آذاننا ، ونطرب لكل صوت شجى تعيه أسماعنا ، ثم نقوم عنها فنمضى فى الحياة حيث توجهنا عقولنا وأهواؤنا ، فهل نحن مسلمون ؟

ودعوتهم إلى الإيمان ، فآمنوا بالله إيمان مراقبة وخشية وتقى ، واستحيوا منه أن يراهم عاصين مخالفين ، فاستقاموا على الطريقة ، وجعلوا أهواءهم تبعاً لما جئتهم به ، فإذا غلبتهم نفوسهم فألموا بذنب ، ومن هو الذى لا يذنب ؟ تابوا إلى الله وأنابوا ، ولم يصروا ويستمروا .

وآمنوا بالملائكة ، فتشبهوا بهم ما استطاعوا فى طاعتهم وعبادتهم ، وأحيوا الملكية فى نفوسهم ، فماتت بحياتها البهيمية والشيطانية ، ورب إنسان هو أقرب إلى البهيمة وأدنى إلى الشيطان ...

وآمنوا بالكتب ، وصدقوا بالقرآن ، فتلوه تلاوة تدبر واستنباط ، فأتوا ما أمر به وانتهوا عما نهى عنه ، وجعلوه لهم إماماً ، وحاكماً مطاعاً .

وآمنوا بالرسل وبك خاتمهم وإمامهم ، فاستمعوا لقولك ، وأطاعوا أمرك ، واتبعوا سنتك ، وكنت أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ومن نفوسهم التى بين جوانبهم .

وآمنوا بالقضاء والقدر ، فسعوا للدنيا سعيها ، وطلبوا المال من حله ، وأعدّوا للعدو ما استطاعوا من القوة ، ولم يدخروا وسعاً فى سعى ولا طلب ولا إعداد ، ولكنهم رضوا بما قدر الله عليهم بعدُ من نتائج ، وما قسم لهم من حظوظ ، ولم يجعلوا الدنيا أكبر همهم ، ولا منتهى أملهم ، ولم يتكلوا على المال ولا الولد ، لأن الله هو المعطى المانع ، ولم يتكالبوا على الدنيا لأن الله هو المطعم الرازق ، ولم يقعدوا عن الجهاد خوف الموت ، لأن الأعمار بيد الله ، فلا تموت نفس حتى يجىء أجلها .

فكان إيمانهم ظاهراً فى كل عمل من أعمالهم ، وفى كل لحظة من أعمارهم ، فى عبادتهم يخلصونها لله لا يريدون بها إلا وجهه ، فلا يتبعون بها عادة ، ولا يبتغون بها رياء ، وفى معاملتهم الناس لا يغشونهم ولا يظلمونهم ، ولا يكذبونهم ولا يؤذونهم وفى بيوتهم وأسواقهم ، وسفرهم وحضرهم ، وصحتهم ومرضهم ،

وأسرارهم وأعلانهم فهل نحن مؤمنون كإيمانهم ؟

يا سيدى يا رسول الله ، لقــد أقمت الإسلام على خمسة أركان فما زال الشيطان يغرينا بأركانه الخمسة حتى هدمناها أو أزلزلناها ، فكان فينا من يقول كلمة الشهادة ولا يؤدى حقها ، ومن يدعى الإسلام ولا يصلى ، ومن يصلى بجوارحه ولسانه لا بقلبه وجنانه ، يقوم إلى الصلاة ليستريح منها لا ليستريح بها ، لا يجد فيها أنس نفسه ولا قرة عينه ، فلا تنهاه صلاته عن فحشاء ولا منكر ، فكأنه ما وقف بين يدى الله ، ولا ناجى بلسانه مولاه ، ومن يدعى الإسلام ولا يصوم ، ومن يصوم عن أكله وشربه ، لا يصوم عن قول الزور والعمل به ، ولا يسلم المسلمون من لسان صائماً ولا يده ، فلا يرقق له الصوم له قلباً فيعطف على جائع ، أو يحسن إلى فقير ومن يدعى الإسلام ولا يزكى ولا يحج ، ومن يحج ليسيح فيرى البلاد ، ويتجر فيجمع المـال ، ويكسب من حجه الذكر والجاه ما طهر بالحج قلبه ، ولا غسل ذنبه ، ولا أرضى ربه .

وتركتنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، حلالها بين وحرامها بين ، وقلت لنا إن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله محارمه ، ونهيتنا أن نحوم حول الحمى لئلا نقع فيه ، فتعدينا حدود الله ودخلنا حماه ، وأتينا المعاصى جهاراً نهاراً ، لا نخشى عاراً ، ولا نخاف ناراً ، ولا رباً جباراً ، بلغتنا قانون الله الذى أنزله لنحكم به ، وسقت إلينا أشد الوعيد ، وأبلغ التهديد ، إن نحن لم نحكم به ، فتركناه وحكمنا بقانون فرنسة . فهل نحن مسلمون ؟ !

يا سيدى يا رسول الله صلى الله وسلم عليك .

لقد كان معك أربعون تخفيهم دار الأرقم فى أصل الصفا ، فأظهرهم الحق حتى فتحوا المشرق والمغرب ، وكان لك منبر واحد درجات من الخشب لا مزخرفات ولا منقوشات ، فأسمعت منه الدنيا كلها صوت الحق ، دعوتها فلبت ، وأمرتها فأطاعت ، ولنا اليوم مائة ألف منبر ، فيها النقش البارع ، والزخرف الرائع يعلوها الخطباء فينادون : « يا أيها النـاس اتقوا الله » . فلا يتقى أحد ، لأن الخطيب ما قال إلا بلسانه ، والمصلى ما استمع إلا بأذانه قد فسد العلماء فهم يعلمون ولا يعملون ، ويزهدون من الدنيا ولا يزهدون ، ويقولون : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » . ويسكتون ، ويتلون : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ويذلون للوزراء والأغنياء والسلاطين . فسد العلماء ففسد الناس فمن أين ينتق الصلاح ؟

فنحن اليوم أربعمائة ألف ألف ، أمرنا بالجهاد لنفتح الدنيا فقعدنا حتى فتح العدو أرضنا ، وملك ديارنا ، وحكم رقابنا ، ولا نزال قاعدين نلهو ونلعب ، نعينه على أنفسنا ، ونهدم معه دورنا وديننا بأيدينا ، وننظر مالم يأتنا هو به من شروره ، فنأخذه نحن بأنفسنا : أخذنا قوانينه وتركنا لها قرآننا ، وعاداته وتركنا لها أخلاقنا ، وفسوقه فأضعنا فيه أعراضنا .

وقد غدونا دولا وحكومات . وأحزاباً وجماعات ، وما المسلمون إلا أخوة فى أسرة واحدة ، وما هم إلا أحجار البناء المرصوص يشد بعضه بعضاً .

* * *

ولكنا لم ننس أن نحتفل بمولدك ، وأن ننصب الأعلام ، ونذيع الأنغام ، ونجتمع على الخطب والكلام ، والشراب والطعام ، فهل يكفر هـذا ما أذنبنا ؟ هـل يعجبك يا رسول الله ما فعلنا ؟ هل يرضى به ربك عنا ؟ !

يا رسول الله ! لقد ركبتنا ظلمات فوق ظلمات ، وحاقت بنا مصائب بعد مصائب ، وخفت صوت المصلحين ، وعلا نداء الضالين المضلين ، وتوارى الحق وجال الباطل ، فما العمل ؟ ضاقت الحيل ، وضعف الأمل ، وانسدت طرق الأرض ولم يبق إلا طريق السماء ؟ !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

الأدب في سير أعلامه :

تولستوى ... !

[قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١ —

طفولة ونسب



أطل من نافذة قصر أنيق أقيم على مرتفع في ضيعة ياسنايابوليانا الجميلة، طفل في الخامسة من عمره ، وقد أعجبه ذلك المنظر البهيج من حوله ، ذلك المنظر الذي ألفته نفسه وباتت تأنس به روحه ويتعلق بجماله حسه .

كان الطفل يمد عينيه الصغيرتين الحالمتين إلى كل ما يحيط به إلى الغابات التي تتناثر هنا وهناك ، وإلى النهر الذي تتثنى صفحته بين هاتيك الغابات فيظهر لعينيه جزء منه وتتوارى خلف الشجر أجزاء ، ثم إلى القرية الهادئة التي تتراءى لعينيه من بين الخمائل تحيط بها على مقربة من النهر برك صغيرة وأخرى كبيرة ، وتبدو كنيستها المتواضعة بجانب الأكواخ والعشش الصغيرة المبنية من الطين وجذوع الشجر ، والتي يفصل بينها طريق غير هو طريق القرية الرئيسي ؛ ثم يمد الطفل عينيه إلى ذلك الطريق البعيد الذي سمع عنه فيما سمع أنه ينتهي عند مدينة تولا على مسافة عشرة أميال إلى الشمال وهي مسافة يصورها له خياله طويلة بعيدة ؛ وكم يتمنى أن يرى مدينة تولا هذه التي يسمع عنها ومن حياتها الشيء الكثير . وثمة طريق آخر يمد إليه بصره هو الطريق المؤدي إلى كييف ، وإنه ليتمنى أن يرى كييف تلك المدينة التي يذكر اسمها الناس في احترام وتقديس ، والتي يتقاطر إليها الحجاج مارين بضيعة أبيه في هذا الطريق القديم ...

وإذا رد الطفل بصره وقع على الطريق المنحدر من القصر تحيط به أشجار الليمون ويقوم على جانبي مدخله برجان أبيضان جميلان . ولم يكد يتحول الطفل ببصره عما يرى حتى مشت في صفحة وجهه سحابة خفيفة من الهم ، فقد تذكر أن عهده باللعب قد انتهى كما أخبرته العمة تاتيانا ، وأنه من غده سيدخل حجرة الدراسة كل يوم في ساعة معينة من النهار فلا يبرحها إلا متى شاء معلمه أن يطلقه ... وهو منذ تلك السن يكره القيود كرهاً شديداً فكيف يطيق حجرة الدراسة ويطيق أن يأتمر بما يقضي به المعلم ؟ ذلك ما كان يكرب نفسه الصغيرة ، بعد أن أخذ ذلك المنظر بمجامع عينيه ، فهو يطل على مسارح لعبه ومجال جريه تحت هاتيك الخمائل وفي فناء ذلك القصر .

ولكن الصبي يعود فيذكر أن لا بأس من حجرة الدراسة وما فيها ؛ أو ليس يعني غدوه إليها أنه يغدو كبيراً فيقرأ ويكتب كما يقرأ إخوته ويكتبون ؟ فلا يدل عليه أحدهم بشيء ينتقصه هو ولا حيلة له في هذا النقص ، ولا يفاخره منهم أحد بكتبه ودفاتره فسوف تكون له كتب ودفاتر . وتطيب نفس الصبي بهذه الأفكار فهو يكره أشد الكره أن يتفاخر عليه أحد ، أو أن يشعر أنه دون من يحيطون به . وكثيراً ما دمعت عيناه غيظاً إذ يرى لغيره من دواعي الفخر ما ليس له . وهو سريع البكاء إذا غيظ لأنه لا يحب أن يغيظ أحداً . فليقبل إذاً على حجرة الدراسة في غير نكد بل ليقبل عليها في ارتياح . هكذا توحي إليه كبرياء نفسه الصغيرة ، وإنه منذ صغره لذو كبرياء ، وإن كان إذا غضب سريع البكاء .

وكان للطفل واسمه ليو ، ثلاثة إخوة أكبر منه وأخت هو أكبر منها . أما إخوته فهم : نيقولا وكان يكبره بخمسة أعوام ، وسيرجي وكان يكبره بعامين ونصف عام ، وديمتري وكان يكبره بعام وأربعة أشهر ، وأما أخته فهي ماريا ، وكانت دونه بسنة ونصف سنة .

وكانت تعيش مع صغار الأسرة بنت ليست منها وهي بنت غير سفيحة لأحد الأصدقاء المقربين من عميدها ، وكان أبناء الأسرة يحسنون معاملتها كما لو كانت أختاً لهم ، وماذا تصنع غير ذلك نفوس بريئة كهاتيك النفوس التي لم تدر بعد لؤم الحياة ؟ . . .

هؤلاء هم أفراد الأسرة الصغار ؛ فأما الكبار فني مقدمتهم أبوه ، ثم تأتي بعد أبيه العمة تاتيانا ، ولم يعرف الصبي منذ بدأ إدراكه أماً له غيرها ، فقد ماتت أمه كما يذكر أحياناً أخوه نيقولا في همس وحزن عقب مولد أخته الصغيرة بأيام .

وهناك جدته لأبيه وهي تعيش في هذا القصر منذ مات زوجها ، ثم عمته ألين التي جاءت لتعيش في حماية أخيها بعد أن أصيب زوجها بالجنون فقد بلغ به الجنون أن أطلق الرصاص ذات يوم على صدرها . وكانت ألين هذه عمته حقاً ، أما تاتيانا فكان يناديها بالعمة كما يفعل إخوته ؛ ولكن نيقولا يفهمه ذات مرة أنها ليست عمتهما فهي ليست أختاً لأبيهما فيعجب ليو لماذا إذاً يدعوها الجميع عمتهم ولا يدرك مكانها من أبيه ولا موضعها من الأسرة ، ولعل نيقولا كذلك لم يكن أقل منه جهلا بهذا الأمر . وكيف يتسنى له أن يعرف أن أباه أحبها في صدر شبابه وأنها أحبته ولكنها أفسحت له الطريق ليتزوج بسيدة غنية يصلح بثروتها حال معيشته إذ رأت منه هذا الميل على الرغم من حبه إياها حباً وثقت منه ؟ وكانت تلك السيدة الغنية هي أمه ، فلما ماتت أمه عاد أبوه يطلب يدها فرفضت أن تتزوجه ولكنها وعدت أن تكون أماً أخرى لبنيه ، وها هي ذي تبر بوعدها فتكون لهم أماً في مكان أمهم .

لم يكن يعرف ذلك نيقولا مفصلا هذا التفصيل فما يجدر أن يتحدث إلى الأطفال بمثل هذه الأمور ، وحسب أولئك الأطفال أنها تحبهم وأنهم يحبونها حباً شديداً ، وعلى الأخص ليو فقد كان شديد الحب لها قوي التودد إليها ...

على أن عطف العمة تاتيانا عليه لم يشغله منذ هذه السن الباكرة عن التفكر في أنها ليست أمه ، وإن كان يرى منها مثلما يرى الأطفال من أمهاتهم ؛ وإنه ليسائل نفسه أين أمه ؟ لقد ذكر له نيقولا مرات أنها ماتت وإنه ليرى على وجه نيقولا أمارات الغم كلما أشار إلى ذلك ويرى كذلك دلائل الرهبة والألم . فما هذا الموت الذي حرمه من أمه ؟ إن خياله يصوره له شيئاً كريهاً مخيفاً وإنه ليخاف من اسمه وينفر منه ولكنه لا يدري ما هو .

وإن الطفل ليرهف أذنيه كلما تحدث متحدث عن أمه ، ولئن كان يحزنه أنه لم يرها فإنه يطيب نفساً بما يسمع من صفاتها والثناء عليها ، وإنه ليجد من عطف عمته تاتيانا ما يخفف حزنه ؛ ثم إنه ليزداد حباً لهذه العمة كلما سمعها تذكر بالخير أمه ، وتظهر الأسف على فقدها بكلماتها أو بما يبدو من صور الهم على ملامح وجهها ..

وتقع عينا الطفل في القصر على عدد من المربين والمربيات ، ومن الخدم على اختلاف مراتبهم وتنوع أعمالهم ؛ ويجد لأبيه السيطرة على هؤلاء جميعاً ، فما يلقاه أحد منهم إلا بعبارات التجلة وتحيات الاحترام ، فيداخل نفس الطفل شعور الفخر بجاه أبيه وعظمته ، ثم إنه إذا مثل بعض هؤلاء الفلاحين الذين يسكنون القرية القريبة بين يدي أبيه رآهم يحنون رؤوسهم خاشعين ، ويخاطبونه بألقاب السيادة والعظمة ، والسعيد منهم من ظفر بلثم يده إذا شاء أن يمدها إليه ، ويعجب إذ يرى أباه يخاطبهم أحياناً في ازدراء ويعنف عليهم في لهجة الأمر والنهي ، ويتساءل بينه وبين نفسه لم يترفع عليهم أبوه هذا الترفع ، ولم لا يعاملهم كما يعاملونه ، ولكن نيقولا يخبره إذا سأله أن الفلاحين في الضيعة كلها ملك أبيه وملك أجداده كما حدثته بذلك العمة تاتيانا .

على أنه يعلم فيما يعلم أن القصر والضيعة كانا من أملاك أمه ورثتهما عن آبائها من أسرة فولكنسكي ؛ ولكن رأسه الصغير لا يتسع لما يقال عن نسب أمه ونسب أبيه ، وإن أخاه نيقولا نفسه الذي كثيراً ما علمه ما لم يكن يعلم ليبدو منه العجز والتناقض إذا تحدث عن هذا النسب ؛ ولا تحدثه العمة تاتيانا عنه إلا بقدر ما تعتقد أنه يفهم .

* * *

لم يكن يستطيع الطفل في تلك السن أن يدرك حديث نسب أبيه ونسب أمه فإنه حديث طويل وتاريخ قديم .... .

كان بطرس أندريفتش تولستوي أول فرع سامق من فروع أسرة تولستوي التي نبتت أصولها في ألمانيا من زمن بعيد ؛ وقد

بدأ سموق هـذا الفرع في عهد العاهل العظيم بطرس الأكبر الذي ولي أمر الروسيا في أواخر القرن السابع عشر .

حارب بطرس أندروفتش تولستوى في معركة أزوف عام ١٦٩٦ ؛ وأرسله القيصر بعد ذلك إلى أوروبا ليتعلم بناء السفن ؛ وفي مستهل القرن الثامن عشر عينه سفيرا لروسيا لدى الباب العالى ، ولما اشتبكت الدولتان في حرب عام ١٧١٠ ألقى به في سجن الأبراج السبعة ، وكان يلقى فيه السلطان بالسفراء الذين يكون بينه وبين دولهم حرب ، ولما عاد بطرس إلى بلاده عام ١٧١٤ وصل إلى منصب الوزارة ...

ولم ينس العاهل الجبار بطرس الأكبر صنيع وزيره هذا إذ أرسله إلى إيطاليا ليعود بابنه أليكسى ، وكان قد هرب من بلاده خوفاً من غضب أبيه عليه لما كان من معارضته إياه في إصلاحاته ، ولم يزل به ذلك الوزير الماكر يغريه ويمنيه ، ويستمين عليه سراً بخليلته حتى عاد به إلى روسيا حيث أسلمه إلى الموت نكال أبيه ، وجزى بطرس رسوله بالمال والضياع الترامية . ومما يروى عن القيصر العظيم أنه في أواخر أيامه كان يلمس بكفه رأس وزيره قائلا : « أيها الرأس ... ! أيها الرأس لولا ما أنت عليه من مهارة لمضى اليوم زمن طويل على الاطاحة بك من فوق كتفيك » .

ويأتى دوران الفلك إلى عرش روسيا بنجل أليكسى بعد ، فيكون أول ما يعنى به القيصر الجديد أن يقتص من ذلك الذى خدع أباه حتى جره إلى مواطن الحتف ، ولئن سقاه أمس جده الكأس عسلا فانه اليوم يجرعه إياها علقماً ، فقد جرده من ألقاب شرفه ونفاه إلى أركينجل نفياً لم تكن منه عودة ...

على أن ذلك الفلك الدوار يضع على العرش عام ١٧٤٦ القيصرة إليزابث إبنة بطرس الأكبر فترد إلى أسرة تولستوى شرفها وضياعها في شخص أندرو إيفانوفتش تولستوى حفيد ذلك الذى قضى نحبه في أركينجل .

وينمو من هذا الفرع الجديد السامق فرع هزيل رخو هو ابنه إليا تولستوى ؛ فلقد كان ماجناً مستهتراً ضيق العقل ، يسط يده كل البسط في ثروته العظيمه فبددها ، ثم بدد بعدها ثروة زوجه الغنية ، ولولا أن تداركه بعض ذوى النفوذ والثراء من أقربائه لحاق به سوء ما فعل ، فبفضل هؤلاء عين إليا تولستوى حاكما لقازان واستطاع أن يسترد بعض ما فقد ...

ورزق حاكم قازان بغلام سماه نيقولا ، وترك له بعد موته ما بقى من أملاك الأسرة ، وفي عهـد نيقولا هذا وهنت ثروة الأسرة وهناً شديداً ولكن لم تكن له يد في ذلك وإنما حدث هذا بسبب غيابه إذ أسره الفرنسيون ، وكان لم يتجاوز الثامنة عشرة أثناء حملة نابليون على روسيا ، وظل سجيناً بفرنسا حتى غلب نابليون على أمره فأطلقت سراحه جيوش الحلفاء الظافرة بعد دخولها باريس ... ولم يجد نيقولا ما يرأب به ما تصدع ويصلح ما فسد خيراً من زواجه بذات ثراء ، وتم له ذلك بزواجه من مارى فولكنسكى العظيمة الثراء الكريمة المحتد .

وكان لأسرة فولكنسكى إلى الثروة وعراقة الأصل ، الشمم والبطولة وقوة الروح واستقلال الرأى وصرامة العزم فتلك خلال ظهرت كلها أو بعضها في أفرادها ، ومن هؤلاء ثائر اشترك في ثورة الديسمبريين وعوقب بالنفى ثلاثين عاماً في سيبيريا حيث صحبته زوجته عن طوع ، ومنهم ابن عم له خاض المعارك ضد نابليون في حماسة وبسالة أعجب بهما نابليون إعجاباً حمله على أن يرسل في طلبه وهو جريح أسير وعرض عليه أن يرد إليه حريته إذا قطع على نفسه عهداً ألا يحاربه مدة عامين ولكنه رفض هذا العرض في شمم وكبرياء ...

وعرفت كذلك أسرة فولكنسكى بصلة النسب بين كثير من أفرادها وبعض ذوى القدرة الفنية من المؤرخين والأدباء والنقاد والشعراء ، وكانت تربط مارى فولكنسكى وشائج الرحم من بعد بشاعر روسيا الأكبر بوشكين .

وكانت ضيعة ياسنايا بوليانا من نصيب مارى فولكنسكى عند زفافها إلى نيقولا تولستوى نالتها من أبيها كما نالت ذلك القصر الأنيق الذى استقرت فيه وزوجها عقب زواجهما ، وكان ذلك القصر الأنيق الذى تستوقف الأعين أخشابه الزاهية اللون في وسطه ويمتد جناحاه الحجريان العظيمان يمنة ويسرة إلى مسافة بعيدة ، يقع فوق مرتفع على مقربة من الضيعة . وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٨٢٨ ولد فيه ذلك الغلام الذى يقف الآن وهو في الخامسة من عمره يطل من شرفته على الضيعة والنهر والغابات والقرية القريبة ، ويذكر ما أخبرته به العمة تاتيانا في رفق وهو أنه لم يعد بعد صغيراً وأنه سيدخل حجرة الدراسة من غده فلا يبرحها إلا متى شاء معلمه أن يطلقه .

(يتبع) الخفيف

اكتبوا للأطفال

للأديب محمد سعيد كيلاني

الشبان عندنا منصرفون عن كتب الأدب ، وفيها زاهدون بل إن طلبة الجامعة ينظرون شزراً إلى قسم اللغة العربية ، ويركبونه — غفر الله لهم — بالدعابة والسخرية .

ولا غرابة في ذلك فإننا لم ننشئهم تنشئة تطبعهم على احترام لغتنا القومية ، وحب هذا التراث القيم من نظم ونثر . أجل ! لقد أهملنا تغذية عقول أطفالنا إهمالا شنيعاً في حين أن الأمم الأوربية اهتمت بهذا النوع من التأليف وأنفقت في سبيل ذلك أموالا طائلة .

١ — فرنسا :

وكانت فرنسا أسبق هذه الأمم إلى إخراج كتب للأطفال . ففي القرن السابع عشر جلس على عرش تلك البلاد الملك العظيم لويس الرابع عشر .

وفي عصره ظهر عدد كبير من الكتاب والشعراء ، وألفت مسرحيات رائعة ، ونهض غير واحد من الكتاب بالتأليف للأطفال ، ونخص بالذكر منهم « بيرو » الشاعر المعروف والعضو بالأكاديمية الفرنسية ، فقد أخرج بعض القصص بأسلوب سهل وعبارة جذابة ، بيد أنه استنكف أن ينسبها إلى نفسه فنحلها ابنه . ثم أخرج مجموعة « أقاصيص وحكايات الزمان الماضي » باسمه هو لا باسم ابنه كما فعل من قبل .

ومضى بعد وفاة « بيرو » زمن طويل لم يعن فيه أحد بإخراج شيء من أدب الأطفال حتى جاء القرن الثامن عشر فظهرت « لبرنس دي بومون » وكانت تزاول تعليم الأطفال في فرنسا فكتبت عدداً عظيماً من القصص ، ولعل من أهمها قصة « مخزن الأطفال » ولكنها لم ترزق خيالا واسعاً ولا أسلوبا قويا ، فلا عجب أن اندثرت حكاياتها ولم يبق منها شيء يذكر .

وفي ذلك القرن ظهر « جان جاك روسو » ونشر آراءه في تعليم الأطفال وتربيتهم فآمن بها كثيرون في فرنسا وغيرها من البلدان . فقامت « مدام دي جنلس » (١٧٤٦ — ١٨٣٠) بتأليف كتب كثيرة للأطفال . وكانت تسير في تعليمهم على مبادئ « روسو » . ولم تعن بتربية الخيال عندهم ولكنها حرصت حرصاً شديداً على سلامة أخلاقهم .

وظهر بين عامي (١٧٤٧ — ١٧٩١) أديب كبير منح الأطفال قسطا كبيرا من عنايته فأنشأ لهم صحيفة خاصة بهم أطلق عليها « صديق الأطفال » وقد عرف هو نفسه بهذا اللقب . وامتاز بأسلوب في منتهى السهولة واللين . ولم يكتف بما في لغة بلاده بل نقل كثيراً مما ورد في لغات الأمم الأخرى . وبهذا استطاع أن يسد فراغا كبيراً ، وأن يشبع رغبة الصغار في القراءة .

ولم تشرق شمس القرن التاسع عشر حتى كثر عدد الكتاب الذين زاولوا هذا النوع من التأليف .

وفي القرن العشرين بلغ عدد ما يطبع سنويا من قصص الأطفال بضعة ملايين ، كما أن الصحف الخاصة بهم كثرت وانتشرت في كل مكان .

٢ — في انجلترا :

ويغلب على الظن أن العناية بكتب الأطفال في انجلترا بدأت بعد ظهورها بفرنسا . فأنشأ « نيوبري » مكتبة خاصة للأطفال حوت كثيراً من الكتب التي تستهوي أفئدتهم ، ومن بينها قصص ألفت عن خرافات العصور الوسطى . ولما سرت تعاليم « روسو » و « لوك » وغيرهما من المفكرين إلى بلاد الإنجليز تأثر بها كتابهم إلى أبعد حد . ولا شك في أن « توماس داي » كان من أعظم كتاب الإنجليز تأثراً بتعاليم « جان جاك روسو » وقد ألف للأطفال قصة دعاها « ستانفورد ومرتون » تدور حول غلام سيء الأخلاق والتربية يدعى « توماس مرتون » وهو من أب انجليزي هاجر إلى الهند وأثرى ثراء عظيما . ولما رجع إلى بلاده نشأت صداقة بين ابنه هذا وبين ابن أحد جيرانه وهو « هاري ستانفورد » وكان حسن الأخلاق طيب التربية بفضل تعاليم قس القرية « المستر بارلو » ولما فطن والد « توماس » إلى

حقيقة الأمر ناط بهذا القس تعليم ابنه وتهذيبه . فنتج من هذا أن أصبح الصبي « توماس » صالحاً لا عوج في أخلاقه .

وظهر بعد « توماس داي » كتاب كثيرون منهم «دي فو» مؤلف قصة « روبنصن كروزو » التي نالت شهرة واسعة ونقلت إلى جميع لغات العالم وقام في كثير من البلاد الأوربية من قلدها ونسج على منوالها .

ولد « دي فو » سنة ١٦٦٠ وتوفي سنة ١٧٣١ واشتغل بالتجارة ولكنه أصيب بالفشل . واشتغل بغير التجارة فصادفه الإخفاق التام . وكان مشغوفاً بالسياسة فأصدر في عام ١٧٠٣ نشرة أغضبت ملك الإنجليز فأمر بإلقاء القبض عليه ومحاكمته . وأخيراً اضطر إلى مغادرة لندن والاتجاه إلى الريف . وهناك كان يقضي وقته في الكتابة والتأليف . وفي سنة ١٧١٩ أخرج هذه القصة الشهيرة .

ثم ظهرت قصة رائعة أخرى وهي « أسفار جوليفر » لمؤلفها « سويفت » وكان هذا الكاتب فقيراً جداً . وحاول أن يشتغل بالسياسة ولكنه لم يفلح فاضطر إلى الرجوع إلى موطنه الأول ارلندا وفي سنة ١٧٢٩ أخرج هذه القصة في أسلوب مشرق الديباجة .

ثم تتابعت قصص الأطفال في انجلترا . ومن أشهرها « أليس في بلاد العجائب » لمؤلفها « لويس كارول » (١٨٦٥) و « بيتربان » (٢٦ ديسمبر ١٩٠٤) وغيرهما مما لا يتسع المجال لذكره . وظهرت صحف يحظها العد للأطفال دون سواهم . وقد ساهم في تحريرها الأطفال من الأعيان والنبلاء .

٣ — في الأمم الأخرى :

وقد تسابقت الأمم الغربية الأخرى في هذا المضمار وقطعت فيه شوطاً بعيداً . فأنشأت أمريكا مكاتب عامة للأطفال ووكلت إدارتها إلى فريق منهم . وتطبع في أمريكا ملايين القصص في كل عام ، وتصدر مئات الصحف التي يشرف عليها الأطفال وتدبجها أقلامهم .

واهتمت فنلندة وغيرها من أمم شمال أوربا بأدب الأطفال كل اهتمام . وامتازت قصصهم بخيال خصب ، ترى عليها مسحة من الهزل والطرافة ، ولوناً من الحزن يقربها إلى النفس . وممن برع من كتاب أهل الشمال في هذا الباب الأديب الفنلندي « أندرسن » الذي ولد عام ١٨٠٥ وتوفي عام ١٨٧٥ . ومن خير كتبه التي أخرجها للأطفال قصة « ملكة الثلج » .

ولم يقصر أهل الجنوب في هذا الميدان ، بل أعطوه قسطاً كبيراً من عنايتهم . وقد كان لقصص الأطفال أكبر تأثير في العمل على وحدة كل من إيطاليا وألمانيا . وامتازت قصص أهل الجنوب بالدرس والتحليل والبحث والتمحيص ، وتحكيم المنطق في كثير من الأمور ، فلم يكن للخيال عندهم نصيب مذكور .

٤ — في الشرق :

أما في الشرق فلم يعن أحد بالاتجاه في هذه الناحية وذلك لتفشي الأمية وعدم العناية بتثقيف النشء . وبقيت هذه الحال حتى عام ١٩٢٨ إذ ظهر في مصر الأديب المعروف الأستاذ كامل كيلاني فأوقف جهوده ووقته لخدمة الأطفال فأخرج في ذلك العام قصة « جوليفر » في أسلوب سهل وضبطها بالشكل وحلاها بكثير من الصور فصادفت رواجاً كبيراً شجعه على نقل غيرها من روائع الغرب . ثم اتجه هذا الأديب إلى ما ورد في اللغة العربية من نفائس القصص فبسطها وحذف منها ما لا يتفق مع عقليات الأطفال وأذواقهم فبدت شائقة جذابة ، وانتشرت في أنحاء الشرق العربي كما ترجمت إلى جميع اللغات الشرقية وبعض اللغات الأوربية وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الأستاذ كامل كيلاني قد سد فراغاً كبيراً كان من الضروري أن يسد ، ووضع أساساً صالحاً لأن نشيد فوقه بناء لا يتطرق إليه الخلل .

فما لا شك فيه أن أدباءنا الذين حصروا أنفسهم في الأدب العالي قد شيدوا الجدران والسقف قبل أن يضعوا الأساس . وهذا هو السر في إعراض شباننا عن قراءة كتب الأدب وانصرافهم إلى الروايات التافهة الساقطة التي تنقل عن الغرب .

محمد سيد كيلاني

الأدب والفن في أسبوع

تراجم جديدة للقرآن :

ظهرت أخيراً ثلاث تراجم للقرآن الكريم ، الأولى باللغة الأنجليزية ، وقد قام بهذه الترجمة الشيخ عبد الله يوسف من رجال المفوضية السعودية بالولايات المتحدة ، وأشرف على طبعها الشيخ خليل الرواف ، وتقع هذه الترجمة فى مجلدين ، يشتمل كل منهما على ألف وخمسين صفحة .

والثانية باللغة الفرنسية ، وقد قام بطبعها المستشرق « ريجيس بلاشير » أستاذ الأدب العربى فى معهد الدراسات الأسلامية بباريس ، ومؤلف كتاب « نقاد المتنبى » .

والثالثة باللغة الأسبانية وقد قام بها الأستاذان « جيفو الدين رحال » و « ستنيا غوم بير الله » ، وتقع فى ثلاثة أجزاء ، وقد كتب الترجمان للترجمة عدة مقدمات باللغتين الأسبانية والعربية تناولا فيها اعجاز القرآن وتاريخ الأنبياء وروح الأسلام وما تضمنه القرآن من نظريات فى العلم والاجتماع والعمران .

وللقرآن تراجم كثيرة فى كل لغة ، ثم هو لا يزال مقصد المترجمين وموضع اهتمامهم ، ونحن نذكر أنه منذ سنوات قامت ضجة كبيرة فى مصر بين العلماء حول ترجمة القرآن ، ونذكر أن الرأى اتجه يومذاك إلى ما سموه بترجمة معانى القرآن ، ووضع مشروع رسمى لهذا ، وألفت لجنة من المختصين لتضطلع بهذه المهمة ، وأرصد لها المال اللازم فى ميزانية الدولة ، وقالوا إن هذه اللجنة باشرت عملها فعلا ، وانتظرنا ، ثم انتظرنا ، وإلى اليوم لم نر أى أثر لهذا كله ، ولم نسمع أدنى خبر عن تلك اللجنة !! ولسنا ندرى ما الذى عطل ذلك المشروع وعاق سبيله .

إن ترجمة القرآن ، أو معانى القرآن كما يقولون أصبحت ضرورة لازمة وواجباً يحتم علينا أداؤه ، وإن من المحتم أن تكون هناك ترجمة مقومة مصححة ينهض بها علماء ثقات فى علوم القرآن وإدراك أسراره ، ويجب أن تكون هذه الترجمة بجميع اللغات الحية الذائعة ، أما أن نظل جامدين ، ونترك الباب مفتوحاً للمستشرقين ولغيرهم من أصحاب الجهود الفردية يترجمون القرآن كما يشاءون وعلى قدر ما يفهمون ، فأننا لا شك نجنى على القرآن الكريم بجمودنا وإهمالنا . وإذا كان الأزهر — وهو أكبر جامعة إسلامية — لم يستطع أن ينهض بهذا ، ولم يمكنه أن أن يمضى فى ذلك المشروع الذى وضع من قبل ، فأن لنا كبير الأمل فى الجامعة العربية أن تحمل هذه المهمة ضمن غايتها الثقافية .

مصر التى علمت العالم :

أشرنا فى عدد سابق إلى وصول الأديب الفرنسى الكبير « جورج ديهاميل » إلى مصر ، وقلنا إنه سيذيع فى مصر عدة محاضرات ثقافية ، ونقول اليوم إنه ألقى فعلا ثلاث محاضرات كلها إشادة بالثقافة الفرنسية وتمجيد لآثارها فى الفن والأدب وخدمة الأنسانية ؛ ولكن أسلوب « ديهاميل » الرائع البارع يضفى عليها جدة وخلابة ، وقد عرض « ديهاميل » فى إحدى محاضراته هذه إلى الحديث عن مصر القديمة بأسلوب طلى فقال :

« قلما تدهشنى مناظر الأرض حين أراها من عل . حقاً إنها تبدو فى هذه الحال غريبة يقتضى مقاييسنا الأنسانية ، وكثيراً ما أكون كالمأخوذ بهذه الجغرافية المجردة ، ولكنى لا أتأثر بها إلا نادراً ، ومع ذلك فقد شعرت بتأثر لا شك فيه عند ما تكشفت لى دلتا النيل فجأة ، بعد أن أمضيت ساعات فوق صحراء جرداء عابسة . ولست أعزو هذا التأثر إلى شعورى بأنى استمددت مرة أخرى الحياة والخضرة وهما رمز الرجع الأبدى ، كلا ! فأن الذى هزنى وغير إحساسى فجأة أن ألمح هكذا وبنظرة واحدة بعد التنقل من حال إلى حال ، إحدى البقاع المقدسة التى انبثقت منها حضارة الغرب ، وهى مصر — » .

« لقد تشكلت هذه الحضارة وتهذبت فى بطء على ضفاف النيل ، ثم انتشرت — كمياه النهر الكبير — فى شرق البحر المتوسط ، فبلغت الجزر ، وامتدت إلى آسيا الملساء ، وغزت شيئاً فشيئاً كل ما سماه « فاليرى » بحق : قارة البحر المتوسط ،

ومن هذا المكان قفزت إلى أوروبا كلها ، ومن شواطئها وثبت إلى القارات الأخرى ثم تهذبت هذه الحضارة تهذيباً كبيراً واسعاً على مر الأيام ، وظلت مصر التي كان لها في العهد القديم مكانة مرموقة وهي غريبة عن أجيالنا ، فقصارى القول أنها ظلت في الظاهر — على الأقل — بعيدة عن الأسهام في البناء القريب الذي كرست له كل شعوب الغرب جهودها ».

« ولكن مصر البدائية هذه التي تبدو لنا غامضة كالطلسم، والتي يتعذر فهمها على الرغم من جهود العلماء التي تبعث الإعجاب ، قد علمتنا درساً كبيراً في الماضي ، ولا تزال تعلمنا هذا الدرس إلى اليوم ، وإلى آخر الدهر ، هذا الدرس الذي يخطيء هذا المجتمع المتحضر كل الخطأ إذا هو غمطه ، فقد أرتنا منذ بداية التاريخ أن من أهم ما يجب على الإنسان أن يجاهد من أجله ، هو أن يستخلص من النسيان شيئاً ، وأن يخلف من شخصه أو من جهده أثراً خالداً . وكثير من الناس يشيرون في كل وقت إلى الخلود والأبدية ، ولكن كثيراً منهم لا يفرقون بين الخلود والأبدية ، فهم حين يستعملون هاتين الكلمتين اللتين تبعثان في النفس الرهبة والخشية إنما يعربون في بساطة ساخرة أو مستترة عن اعتقادهم بأنهم قانون ، ومن رغبتهم كذلك في أن يظلوا أحياء بعد موت غيرهم ، إن لم يكن بأشخاصهم فلا أقل من أن يكون بأثر من آثارهم يحيي ذكراهم بعد مماتهم .. » .

« .. ذلك هو الدرس الذي تلقيه علينا مصر القديمة ، وقد عرفته من أول زيارة لها ، فبهرني وأنا أنظر من أجواء عالية فأرى النهر القديم ينساب في جلال بين آثار إنسانية باقية . ولا شك عندي أن أكثرها دواماً وخلوداً تلك التي خلفها لنا الألى لا نكاد نعرف عنهم شيئاً إلا أنهم دفنوا أحقادهم وكل أمر يدعو إلى الخصام .. » .

كتاب له قصة :

في العدد السابق من « الرسالة » أشرت إلى ما نهض به السيد محمد كرد علي بك في نشر وتحقيق كتاب « المستجاد من فعلات الأجواد » للمحسّن بن علي التنوخي ، وأشدت بهذا الصنيع على أنه مأثرة حميدة في خدمة التراث العربي ، وبعث آثاره المطمورة ، ووصل حلقاته المفقودة .

وقد حدثني أديب فاضل بقصة عجيبة غريبة عن نشر هذا الكتاب قال : « لقد كانت الفكرة في هذا فكرة الأديب الباحث الأستاذ السيد صقر ، فهو الذي جمع أصول الكتاب ، وقام بتصحيحه وتحقيقه ، وتأهب لنشره ، وأعلن ذلك في الصحف لأهل العلم والأدب ، وكان قد التقى في العام الماضي بالسيد كرد علي بك وأطلعه على هذه النية ، وطلب منه أن يفيده بما لديه من خبرة في ذلك .. ومضت أيام ، وبينا الأستاذ صقر ماض في خطته إذا بنبأ من الشام يقول حسبك ، فإن الأستاذ كرد علي قد قام بنشر الكتاب . وإن أخانا صقرا الحائر فلا يدري ماذا يصنع؟ أيصرف نفسه عن هذه النية على ما بذل في الكتاب من جهد وعناء ، أم يقوم بنشر الكتاب وفيه ما أسدى وأفاد »

قلت إنها قصة روت .. وإني لأعرف من أمثالها كثيرات ، ولكني أقول ما قال « الجاحظ » من قبل « ولولا أن أكون عيابا ، وللعلماء خاصة ، لأريتك من هو أبو عبيدة ، ومن هو في وهمك أبعد من أبي عبيدة » .

فحسب أخينا الأديب صقر ما قدم ، ولعله يحتسبها إحدى « فعلات الأجواد » وإن كان صنيع شيخنا كرد علي ليس « بالمستجاد » .. وإن مما يروى عن عبد الله بن الزبير أنه دخل على معاوية فأنشده لنفسه .

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

ثم دخل معن بن أوس وأنشده قصيدته التي مطلعها :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل
على أينا تعدو المنية أول

حتى أتى عليها وفيها البيتان السابقان بلفظهما ، فأقبل معاوية

على عبد الله بن الزبير قائلا : ألم تخبرني أنهما لك ! فقال : نعم ، وهو أخي من الرضاع ، وأنا أحق الناس بشعره ! . .

حرية الرأي والحكومة :

أخرج الأديب اللبناني الأستاذ « مارون عبود » كتاباً بعنوان « الرؤوس » تناول فيه العرب وعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم وأوضاعهم بأسلوب سفساف ، تجاوز الحق والأنصاف

وقد تناولت إحدى المجلات « السورية » هذا الكتاب بالنقد ، فوصفته بأنه « باطل جرىء فى لفظ بذىء » ، ونعت على مؤلفه أن يشوه الحقائق استجابة لنزعة طائفية مقوتة ، ثم قالت : « ونحن نلفت نظر حكومة لبنان الرشيدة إلى أن الحرية لا تمنح إلا ضمن إطار محدود ومقيد ، فمجال الأدب والأديب يتسع لكل قول لأن الأدب والأديب ليس وقفاً بين حدود طبيعية ، ولكن العناصر والأجناس والأديان والرسل لها مكانتها التى يجب أن تحفظ ، ويجب بالتالى أن يراقب كل ما يكتب بشأنها » !

وأنا أقول كلا ، فإنه مهما كان من إسفاف الرأى وضلاله وتهافت الحكم وانحلاله ، ومهما كان من المؤلف فى التجاوز والشطط والخلط ، فلا يصح بحال أن نستعين عليه بالحاكم ليردعه ، وبصاحب السلطان ليقمعه ، وإلا كان هذا اعترافاً منا بأن للرأى الفاسد قوة تمكنه من البقاء ، وتستحق منا كل هذا العناء .

لقد كان « ابن الراوندى » أشد اسفافاً وأحط صنيعا ، فكان يصبح مع المسلمين ، ويضحى مع النصارى ، ثم هو فى الظهيرة مع اليهود ، وفى المساء مع المجوس ، ولا أدرى مع أى طائفة يكون فى الليل ، وكان يؤلف الكتب لكل فرقة على هواها ، فكان يلعن كل دين ، ويطعن على كل نبى ، ويصب على رؤوس الأجناس والعناصر السباب والشتم ، ومع هذا كله فقد وسعه الأسلام بسماحته ، واحتمله الحكم الأسلامى وهو فى عنفوان صولته ، ثم مات « ابن الراوندى » ، وطارت كل آثاره ومؤلفاته هباء فى الهواء ، ولو كان منها شىء ينفع الناس لمكث فى الأرض . .

ليس للفكرة التافهة أى ضمان للبقاء إلا أن تأبه بها ، ولولا أن « ابن الخياط » رد على « ابن الراوندى » فى كتابه « الانتصار » وتناول آراءه بالتفنيد ، لما بقى ظل لتلك الآراء على الأرض ، فهل تريد الزميلة السورية أن تجعل « لرؤوس المارون عبود » رجع الصدى فتهيب بالحكومة اللبنانية لتحميها وتحاسبه عليها ؟

فن وتجارة ! . .

أرسل الأستاذ يوسف وهبى بك بوصفه نقيباً لممثلى المسرح والسينما البرقية التالية إلى معالى وزير الشئون الاجتماعية ننشرها بنصها وبلفتها :

« نقابة ممثلى المسرح والسينما بالقاهرة تهيب بمعاليكم أن تدرأوا عن صناعة السينما المصرية ومستقبل آلاف المشتغلين بها الخطر الداهم من جراء السماح للشركات الأجنبية بعمل نسخ من أفلامها ناطقة باللغة العربية . إن المنافسة ستكون خطرة غادرة لعدم توازن القوى المادية والفنية بيننا وبينهم ، فنستصرخكم لشد أزرنا بإصدار قرار بمنع عرض هذه الأفلام فى دور السينما المصرية ، أبقاكم الله ذخراً لحماية الفن والفنانين ! »

فأنت ترى من هذه البرقية أن نقيب الممثلين المسرحيين والسينمائيين يستصرخ ويستنجد ويستغيث بمعالى وزير الشئون الاجتماعية لمنع عرض « أفلام الشركات الأجنبية ناطقة باللغة العربية » لا لشىء إلا لامتيازها « المادى والفنى » على الأفلام المصرية ، مما يجعل المنافسة خطيرة ، ويجنى على مستقبل آلاف المشتغلين بالسينما فى مصر كما يقول حضرة النقيب .

والمعنى الواضح لهذا الكلام أن ما يسمونه فى مصر بالفن المسرحى والسينمائى ليس باباً للامتياز والأجادة والحرص على المثل الأعلى ، وإنما هو تجـــارة و « أكل عيش » لا أكثر ولا أقل ، ومتى صار الفن هو هذا ... فكل شىء جائز ، حتى ذلك الكلام الذى يقوله نقيب المسرحيين والسينمائيين .

إننا لا نذافع عن الأجنبى بأية حال من الأحوال ، ولو أن حضرة النقيب طلب إجراء بإزاء الأفلام التى تذاع بيننا باللغة الأجنبية لظاهرناه فى رأيه بدافع القومية على الأقل ، ولكنه يطالب بمنع « أفلام ناطقة باللغة العربية » ، ونحن نعرف أن الشركات الأجنبية بقوتها واستعدادها المادى والفنى ستخدم

اللغة العربية وستخدم الفن بيننا ، وستكون منافستها داعياً للإجادة وللقضاء على ذلك الفن الرخيص الذى هو أشبه بسامر الطبالين فى القرية . .

لا يا حضرة النقيب ، فأن الفن أجل وأطهر من أن يتدلى حتى يصبح مجرد تجارة ، وضماناً لأ كل العيش ، ولو صح هذا الكلام الذى تقوله لجاز أن يطالب الأدباء بمنع ترجمة المؤلفات الأجنبية لأنها تقضى على مستقبل آلاف من المؤلفين المصريين ، ويا لها من حجة هى حجتك ، ومنطق هو منطقك !! .

المسرح الشعبي :

انتهت وزارة الشئون الاجتماعية من الاستعداد لأنشاء مسرح شعبي يقوم بعرض تمثيليات وأدوار تتصل بالحياة الشعبية فى الأحياء الوطنية وفى أقاليم الريف .

والقصد من إنشاء هذا المسرح هو معالجة المشاكل الاجتماعية والخلقية بين طبقات العامة وجماهير الشعب بأساليب من الفن يلائم مداركهم وعقلياتهم لغة وأداء وموضوعاً ، حتى يكون أسهل فى التأثير ، وأبلغ فى التوجيه ، وأجدى فى الفائدة .

والفكرة فى إنشاء هذا المسرح ليست بنت اليوم ، ولكنها فكرة لجأت فرنسا إلى تحقيقها منذ زمن ، وقد كان القصد من إنشاء هذا المسرح أن يكون درجة قريبة الصعود لطبقات الشعب ، إذ كان التمثيل على المسرح الفنى يجرى بأسلوب رفيع ، ويتناول موضوعات قوية عميقة المغزى ، بعيدة على المدارك ، فكان المسرح الشعبي أشبه ما يكون بمرحلة الإعداد للمسرح الأعلى ، كمرحلة التعليم الابتدائى بالنسبة للثانوى ، والثانوى بالنسبة للعالى

ولكن عندنا تجرى الأمور معكوسة مقلوبة ، فما يسمونه بالفن التمثيلى والسينمائى بيننا يجرى منحطاً مع عواطف الجماهير ، ويتدلى إلى ما هو أدنى من مداركهم ، ونحن الذين كنا من قبل نهيب بهذا الفن أن يخفف من غلوائه ، وأن يقدر لإدراك الجماهير قيمة فى حسبانه ، أصبحنا اليوم نطالب بأن يسمو الفن فى بهجته وأساليبه ، وأن يترفع عما تردى فيه من عامية منحطة فى الأداء والموضوع . فمن مبلغ أولئك المسئولين أن الفن عندنا جميعه قد أصبح شعبياً ، وأن الذى نحتاجه هو الفن الرفيع المهذب الذى يسمو بالنفوس والعقول ؟ !

« الجاحظ »

وزارة الداخلية

إدارة مجالس المديريات — إعلان

توجد أكثر من ألف وظيفة معلم ومعلمة خالية فى مجالس المديريات يشترط فيمن يعين فيها من المعلمين أن يكون حاصلا على شهادة الكفاءة للتعليم الأولى أو حاصلا من الأزهر على شهادة العالية أو الشهادة الثانوية القسم الثانى ، أو الشهادة الأهلية ، أو شهادة الأقسام الليلية من مدارس المعلمين الأوليـة ، ومن المعلمات أن تكون حاصلة على شهادة الكفاءة للتعليم الأولى ، أو شهادة الفنون الطرزية ، أو شهادة التربية النسوية .

والتعيين فى هذه الوظائف يكون بالدرجة التاسعة (٣ — ٦) جنيه بماهية أربعة جنيهات شهريا عند التعيين .

فعلى من يرغب فى التعيين بهذه الوظائف أن يقدم طلباً إلى وزارة الداخلية (إدارة مجالس المديريات) على الاستمارة رقم ١٦٧ ع ح يبين بها الجهة التى يفضل التعيين فيها بمراعاة أن الوزارة ليست مقيدة بالجهة التى يفضلها المرشح ولكنها تطلب منه بيانها كى تراعيها بقدر الإمكان وكى تنقله إليها عندما يحل عليه الدور للنقل.

وهذا مع ملاحظة أن مجالس مديريات المنيا وأسيوط وجرجا وقنا وأسوان ستتحمل مصاريف انتقال من يعين بها من مقر إقامته إلى الجهـة التى يعينها له المجلس وأن من يعينون فى مجالس مديريات أسوان وقنا وجرجا ويكونون من غير أبناء المديرية يمنحون بدل اغتراب مقداره جنيه واحد شهريا .

وسيكون الكشف الطبي على المرشحين فى أقرب جهة إلى المقر الموجود فيه كل منهم .

٦٧١١



الضريبة والحية :

(للأديب الصيني « ليزو ايو » (٧٧٣ — ٨١٩)

كان في مدينة « بان جون » حية رقطاء ، ما لدغت إنسانا إلا قتلته ، وما مست نباتاً إلا أيبسته ، وما عرف الناس أخبث من سمها ، ولكنه إذا استخلص وصب في القوارير كان دواء للجمرة والبرص والجذام والناسور والطاعون .

ولما استفحل شرها ، وعم ضرها ، أعلن الملك أن من قتل حية فقدمها إلى طبيبه أعفاه من الضريبة . فتسابق أهل البلد إلى جمعها واختصت بذلك أسرة (شيانج شي) فانقطعت إليه ثلاثة بطون . ولقد لقيت واحداً من هذه الأسرة فسألته عن حاله فقال :

— « لقد قتلت هذه المهنة أبي وقتلت جدي من قبله ، وأنا أمارسها منذ اثنتي عشرة سنة ، تعرضت فيها للموت غير مرة » .

وبدت الكآبة على قسمات وجهه ، وشاع الأسى في صوته ، فرثيت له وقلت :

— لماذا لا تدعها إذا كان فيها هذا الخطر ، وتطلب من الحكام أن يأخذوا الضريبة منك ؟

فقال — وهو يبكي بكاء موجعاً :

— أتريد أن ترحمني وتحييني ؟ لا إن عملي هذا ليس شراً من دفع الضريبة — وإنه ليخيل إلي أني لولاه لم أبق حياً إلى الآن . ولقد مرت على هذه القرية ستون سنة وأهلها ينقصون يوما بعد يوم ، إذ قد وجب عليهم أن يقدموا جميع ما تخرجه أرضهم ، فكانوا لا يصبرون على هذا فيدعونها ويرحلون ، أو يسقطون جوعا وإعياء . وتصيبهم الأمراض والأوباء . ومنهم من لا يستطيع اصطبارا فيجني الجناية ويأكل من حاصلات أرضه ، فتفانوا وذهبوا ، فلم يبق من الأسر التي عاصرت جدي واحدة من العشر ، ولم يبق ممن عاصر أبي غير اثنتين أو ثلاثا — ولم يبق ممن عرفت أنا منذ اثنتي عشرة سنة إلا أربع أو خمس — وأنا الوحيد الذي بقيت أسرته حية بفضل هذه الحية .

ولو أبصرت حين يصل إلى القرية الجباة الجبارون . فيملأون القرية صياحا وضوضاء ، ويهددون بالقتل أهلها ، ولا ينجو من شرهم الدجاج ولا الكلاب ورأيتني أقوم متباطئا فأنظر إلى قدوري لأطمئن على وجود الحية — وحين أطعمها وأغذيها ، وأنتظر الموسم لأقدمها إلى الطبيب ، ثم أرجع إلى بيتي فآكل من ثمرة أرضي مطمئنا ، لعرفت فضل هذه الحية علي .

على أني لا أقدم على الموت مخاطرا بحياتي إلا مرتين في السنة وأعيش أيامي الباقية عيشا هنيئا لا يشوبه هذا القلق الذي يتجرع القرويون غصصه طول السنة .

ولاريب أني سأموت من هذا العمل يوما من الأيام ، ولكن أجلي يكون أطول على كل حال من آجال أهل القرية ، فلماذا أتذمر من هذه المهنة وأعدل عنها » .

وحز في قلبي كلامه ، وانصرفت وقد فهمت معنى قول كونفشيوس : « إن الحكومة الظالمة أرهب من النمر وأشد افتراسا » .

نور شاهين

مآخذ المسكرات عند قدماء المصريين

بلغت الحياة الاجتماعية عند قدماء المصريين درجة عالية من الرقي ، فالمصادر التي تحت أيدينا من النقوش والنصوص تدل على أن المصري كان كثيراً ما يقيم الولائم لأصدقائه وجيرانه في داره وأن الزوجة كانت تصحب زوجها في الحفلات الخاصة وفي الأعياد العامة حيث كان القوم يسمعون الموسيقى ويحتسون الخمر .

وقد عثر علماء الدراسات المصرية القديمة على كثير من النقوش التي تصور المصري وقد غرس أشجار العنب والنخيل وغيرها لأكل ثمارها أو تحويل هذه الثمار إلى خمور لعلاج بعض الأمراض .

وكانوا يضعون العصير في قدور أو جرار تسد سداً محكماً حتى لا يتسرب الهواء إليها ويكتب عليها اسم الملك واسم المكان وتاريخه وكان يذكر نوع الخمر للتمييز بين أصنافها المختلفة .

وعلى مرور الزمن أخذوا يستعملون الخمر في غير ما وضعت

له فبعد أن كانت دواء أصبحت داء .

ففي إحدى المقابر نرى صورة جميلة تمثل حالة سكير قد فقد رشده وخارت قواه وضعفت ساقاه ، فحمله بعض الرفاق على رؤوسهم وعلى وجهه علامات التعب . وفي مقابر مدينة طيبة نرى صورة أخرى تمثل امرأة ثملة تتقيأ ما احتسته من الخمر . وفي بعض نصوص مقبرة الموظف « بحرى » نقرأ حديثاً لامرأة تطلب من الساقي أن يناولها نبيذاً لأن جوفها قد جف (حرفيا : « صار كالقش ») ولعل هذه الحوادث وأمثالها مما حدا بالشرع المصري القديم أن يوقع العقوبة على السكارى إذا ضبطوا في شوارع المدن .

فمن ذلك ما ورد في بردية أن أحد السكارى قاده رجل الأمن إلى السجن .

وقد عاون الأدباء رجال التشريع والأمن على مكافحة المسكرات فمن ذلك أن بعض أوراق البردي تحدثنا أن أديبا نصح ابنه قائلا « لا تدخل حانة السكر وتفاخر أنك تستطيع أن تشرب ابريق نبيذ لئلا ينقل عن لسانك ما تقوله وأنت لا تدري به . فإذا وقعت على الأرض انكسرت أعضاؤك ولا يمد أحد من رفاقك إليك يده ، ويصيحون قائلين ابتعدوا عن هذا السكير » .

وجاء في بردية أخرى ما ترجمته « السكير كمعبد بلا إله أو بيت بلا خبز أو سفينة بمجداف مكسور »

ومن هذا نرى أن مصر القديمة كافحت المسكرات بوسائل لا تختلف جوهريا في الواقع عن الوسائل التي نتبعها في عصرنا الحاضر .

دكتور بالهور لبيب

الإنسان الآلي معجزة القرن العشرين

اخترع العلماء الأمريكيون في أواخر عام ١٩٤٥ آلة حاسبة تستطيع أن تحل في خلال فترة قصيرة أعقد المسائل الحسابية التي كانت قبل ذلك تحتاج إلى ملايين من عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة ، كما عرف العالم الخارجي أن تلك الآلة الجبارة تضبط كما يضبط « المنبه » عندما يطلب إليها حل إحدى المسائل الحسابية ، وعنا كل ما يفعله الانسان ، أما الباقي فإن الآلة تتكفل به من تلقاء نفسها ، ولا تلبث أن تقدم النتيجة المطلوبة دون خطأ ما .

وقد تنبأ أحد العلماء الامريكيين — وهو الدكتور فانفر بوش مدير معهد الفنون والصناعة في ولاية ما ساشوسيتس الأمريكية بأن هذه الآلات ستتطور في المستقبل بحيث يتمكن الانسان من أن يحصل منها على « حجج منطقية » خارج نطاق علم الحساب نفسه ، ولكنه يعترف مع ذلك بأن من المستحيل على كل حال صنع آلات تستطيع أن تتمنى ، أو تنتقد ، أو تخترع .

ويبدو أن لمثل هذا البحث أهمية قصوى في عصرنا هذا ، فإن المشكلة الكبرى التي تواجه هذا العصر هي مشكلة الجماعات والجماهير ، والعمل الجماعي بوجه عام ، ولم يعد في هذا العالم مكان لأولئك الفلاسفة الارستقراطيين ، من أمثال « نيتشة » وغيره من فلاسفة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . . إن العصر الجديد هو عصر الذرة ، والرادار ، والالكترون ، وسيطرة الانسان على الجماد ، وعلى الطبيعة .

ولا شك أن الأعوام الباقية من القرن العشرين ستشهد انقلابا عظيما في عالم الاختراع لم يحلم به المفكرون والعلماء في القرن الماضي ، وسيكون الجزء الأكبر من هذا الانقلاب منصبا على الآلات التي تكاد تصل إلى مرتبة الانسان في القدرة على التصرف وعلى مجابهة الصعاب .

مجلة لارسليز أوربانه ثوريل



تقدير كريم لكتاب الرسالة الخالدة :

بعث سعادة الأمين العام لرئاسة الجمهورية السورية الكتاب التالي :

إلى مقام رئاسة مجلس الوزراء :

ظهر كتاب الرسالة الخالدة من تأليف المفكر العربي الغني عن التعريف عبد الرحمن عزام باشا (الرسالة الخالدة) وقد اطلع فخامة الرئيس على هذا السفر الجليل فألفاه طافحا بالإيمان القوي حافلا بالفكرة الروحية التي قام عليها مجد الآباء والتي يهمنا أن تنتظم نفوس شبيبتنا في عصر طغت فيه المادة وضعف فيه الرادع الخلقي .

وإن فخامة الرئيس يرغب إلى مقامكم أن تأمروا بأن تقتني دور الكتب الحكومية والبلدية هذا السفر الجليل وأن توصي المعاهد طلابها بمطالعته حرصاً على أن يعم الانتفاع به من الشبيبة والقراء ، ولكم خالص الاحترام .

دمشق في : ١ ربيع الأول سنة ١٣٦٦
٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

الأمين العام لرئاسة الجمهورية

أنسي الأزهر المراغي ؟

أنسي الأزهر المراغي فلا يؤبنه بحفل ما ، ولا يشيد به في جمع ، ولا يخلده بمنشأة ، ولا يذكره في مناسبة ، وقد أخذ بيده هرماً ، تحامل عليه الداء ، واستبد به المرض ؟ ...

لقد كان المراغي عالماً من طراز نادر ، يجود به الزمان على قلة وبعد ، ... تمتد تفكيره سور الأزهر وجوانب الدرس ، ويتخطى فهمه مماحكات العلماء ، ومجادلات القدامى ، إلى ما يلائم تطور الزمن ، ويساير تقدم الجماعة ، ويتفق وطبائع البيئة ، مستمداً من روح الإسلام السمحة ، ومرونته العجيبة ، قوانين توائم بين العلم والدين ، وتؤاخي بين الفلسفة والشريعة ، وأحكاماً تنير للناس ما غمض من قضايا ، أو خفي من آيات ...

فلما توفاه الله إليه ، كان أسوأ الناس ظناً بالعلماء ووفائهم ، يؤمن بأن حفلة تأبينه ستقام على الأكثر في يوم ذكرى الأربعين ، وأنها لن تكون بالمعنى الذي تواضع عليه الناس ، وإنما تكون مهرجاناً أدبياً يردون فيه إلى الرجل بعض ما أسدى إليهم من معروف ، وأن فيضاً من تخليده وتقديره سيتبع الذكرى ، ولكن ... وا أسفاه ... مات المراغي ، فلم يقم له حفل ، ولم يذكره عالم ، ولم يخلد له أثر !

من كان يظن أن رجلا أقام جامعة ، وأحيا منصباً ، وفتح بيوتاً ، وهذب نفوساً ، وصقل أرواحاً ، وهز السياسة كما هز أعواد المنابر ، مات ومر على موته عام وبضع عام ، ومع هذا فقد ضن عليه مريدوه ، وأصدقاؤه وخلصاؤه ، وزملاؤه وإخوانه ، والذين نعمهم في الشدائد ، بحفلة ولو متواضعة ، في حي الأزهر العتيق ! ...

والعجيب ، أن الذين أحسن إليهم المراغي في حياته ، فبوأهم المناصب ، وبلغهم المراتب ، ومنحهم وجاها ، هم في طليعة محاربيه والداعين إلى نسيانه ، وإهالة التراب على ذكراه ؟ ! .

عفاء على الوفاء عفاء ... ! !

الطاهر أحمد مكي

حول « قطربل » :

في العراق كثير من الآثار الجليلة لكثير من البلدان والقرى تحدثنا عنها كتب التاريخ والأدب بإسهاب ... منها ما طمست معالمها فلم تعد تظهر إلا كتلول ومرتفعات . وما أكثرها في فيافي بين النهرين ... ومنها ما لا يزال ماثلا للعيان ينتظر جهود العلماء والباحثين . ففي تضافرهم ما يسد هذه الثلمة المزرية في تاريخنا المجيد .

وقطربل واحدة من قرى بغداد حدثنا عنها الأستاذ شكري محمود أحمد في العدد ٧٠٤ من الرسالة الغراء حديثاً أدبياً ممتعاً . وقد أبدع في وصف جمالها الضاحك ومناظرها الفاتنة ما شاء له الإبداع . ولكن شيئاً واحداً لفت نظري في حديثه وهو قوله عنها : (قرية بين بغداد وعكبرا) . فهذا القول لا يتفق والحقيقة وقد قاله قبل هذا ياقوت الحموي في معجم البلدان وعليه اعتمد الأستاذ كما أعتقد ... وقد صحح ابن عبد الحق الحنبلي هذا الغلط الثابت وأشار إليه في كتابه مراصد الاطلاع بقوله (قطربل ...

الكتب

« يسألونك »

[للأستاذ عباس محمود العقاد]

ذلك كتاب قيم من أدب المقالة أخرجه الأستاذ العقاد يضيف به حلقة إلى سلسلة كتبه (الفصول) و (المطالعات) و (المراجعات) و (ساعات بين الكتب) ؛ لأن هذه المقالات وإن شابهت تلك الحلقات فى الموضوع والحيز وأسلوب التناول : « لا تدخل تحت عنوان من تلك العناوين لأنها كانت على الأكثر أجوبة لأسئلة معينة يوجهها القراء إلى صاحب الكتاب ، فهى تخالفها فى المناسبة وإن وافقتها فى موضوعها وخطتها وإيثارها الجوانب العامة على الجوانب الشخصية »[1] والكتاب يشتمل على ثمانين مقالة فى المسائل المتنوعة والأغراض المختلفة ، عالجها الأستاذ الجليل بما تميز به من عمق الفكر وأصالة الرأى وتقصى الموضوع وبلاغة الأسلوب . وقد نشرته « لجنة البيان العربى » مطبوعاً فى مطبعة مصر فاجتمع لهذا الكتاب قوة الإنتاج وجمال الإخراج .

(م)

(١) من مقدمة الكتاب

أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء

[للسيدة وداد سكاكيني]

ليست السيدة « وداد سكاكيني » غريبة عن قراء الرسالة ، ولا عن المتتبعين للحركة الأدبية النسائية فى الشرق العربى . . فقد كان لها جولات كثيرة موفقة فى هذا الميدان الأدبى .

وآخر هذه الجولات كتابها الذى نعرض له اليوم عن « أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء » وهو كتاب عرضت فيه سيرة طائفة من فضليات النساء العربيات فوقفت عند أبرز

قرية . قال بين بغداد وعكبرا . قلت بين بغداد والمزرفة لأن عكبرا فى الجانب الشرقى وهى فى الغربى وبينهما فراسخ . وإليها ينسب الطسوج التى هى فيه فيقال طسوج قطربل ... وما فوق الصراة من أسافل سقى دجيل فهو من طسوج قطربل ...

وبعد فلقطربل ذكر حميد فى مختلف كتب التاريخ ولعل الأستاذ أن يعود إلى الحديث عنها بإسهاب ، وبذلك يسدى إلى التاريخ خدمة جلى تذكر فتشكر .

الكاظمية — العراق محمد موسى الموسوى

١ — فى اللغة :

أشاع بعضهم استعمال مثل : (جميل وجميل جدا) باقحام حرف العطف فى التأكيد اللفظى .

وإذا عذر فى تقليده الناشئون فلن يعذر الراسخون كالجارم والمدنى .

قال الأستاذ الجارم فى مقالته الخامسة فى المعارضات فى الشعر العربى المنشورة بعدد يناير ٤٧ من مجلة الكتاب الغراء :

(وغير هؤلاء كثيرون وكثيرون) أى كثيرون جداً . والوجه أن يقال : كثيرون كثيرون بلا عطف .

وقال الأستاذ محمد المدنى فى ص ١٨ من العدد الممتاز من الرسالة الغراء (٦ يناير ٤٧) :

(إلى حد بعيد وبعيد جداً) والوجه : بعيد بعيد جداً ، أو بعيد جد بعيد — إن أراد —

٢ — حاشرة (زنزانة) :

وضع الأستاذ على الطنطاوى فى مقاله بعدد الرسالة الأخير كلمة حجيرة لزنزانة . والأستاذ الطنطاوى موفق فيما يضع من أسماء لمسميات لم تكن .

وقد كنت سميت الزنزانة باسم (حاشرة) وأظن أنه أدل على المعنى من حجيرة الذى لا يفيد سوى التصغير .

ولعل الأستاذ والسادة الأدباء يوافقون على ذلك فيستعملونه .

فلسطينى

صفاتهن ، وجلت هذه الصفات مبينة منها ممجّدة لها ، حاثة على الاتصاف بها والاقتداء فيها .

والكتاب في أربعة عشر حديثاً تناولت في كل حديث منه بسيدة كريمة فبدأت بأم الزهراء ، ثم أم الحسنين ، فأم المؤمنين عائشة ، فوفاء بنت الرسول زينب ، فأخت الحسين ، فذات النطاقين ، فأم سلمة ، فزينب الأسدية ، فمارية المصرية ، فالخنساء فسكينة ، فأم معاوية ، فأخت ضرار ، ثم انتهت أخيراً إلى أم الأمين السيدة زبيدة .

ولقد استطاعت المؤلفة الفاضلة أن تعرض مناحي العظمة في هؤلاء الفضليات من النساء في صور فنية لم تحل بينها وبين الحقيقة التاريخية فلم تخلع عليها من خيالها ما يحجب حقيقتها ، ولم تسدل عليها من جمال الفنّ القولي ما يذهب بواقعها ، وإنما التزمت — كما تقول في مقدمتها — أن تمضي على طريقتها التي جعلت سداها الحقيقة ولحمتها التاريخ .

وفضيلة الكتاب ، فوق فضيلته في نفسه ، أننا نحتاج إليه أشد الحاجة في بيوتنا ومدارسنا .. إن بناتنا وأخواتنا لا يجدن ما يقرأن في بيوتهن إلا هذا الأدب الرخيص ، وهذه المجلات التي لا تتقي الله في حرمة أو شرف أو إباء .

على أنه لا بد من أن نلاحظ في أسلوب الكتاب على سموه بعض القسوة والتزمّت ، فقد كانت بعض الصفحات ، وهي قليلة ، كأنها ماء متجمد ، على حين جرت صفحات أخرى ، وهي كثيرة عذبة سائغة في طلاقة وبريق .

ولعلّ من ذلك أن المؤلفة الفاضلة كانت تنساق في سجع لا يملك الأذن ، ولا يقع منها موقع الارتياح والرضا ، وأرجو ألا أكون في ذلك متجنيّاً ، فقد عهدناها طلقة الأسلوب بعيدة عن قيوده ، ولكن هذا الذي وقفتُ عليه .

والثالثة من هذه الملاحظات أن الكتاب مجموعة أحاديث ألقيت في المذياع ، أو هكذا يُخيل إليّ .. ولذا جاء أسلوبه وفيه هذا اللون الغالب من الخطاب وما يستتبعه من بعض الصيغ الاخرى التي لا يحس لها القارىء وقعاً طريباً بينه وبين نفسه

القاهرة شكري فيصل

مائدة السمر

[للأستاذ كامل محمد عجلان]

مجموعة أقاصيص طريفة نضدها الأستاذ عجلان فأبان عن سعة اطلاعه وطول باعه . . . تنقسم المجموعة إلى قسمين : عربي قديم ومدني حديث . . أما العربي فيجمع بضع أقاصيص عن شعراء من الأعراب ذكر المؤلف لكل منهم طرفة مليحة . ولكن يخيل إلى أن القارىء العادي الذي لا يعرف العرجي وإخوانه من الشعراء القدامى كان ينتظر من الأستاذ كامل نبذة صغيرة عن حياتهم؛ فما كل قارىء يقرأ الأغاني ، ولا يضير هذا الأستاذ في شيء !

وفي غمار قصص الشعراء هذه كانت هناك قصص أخرى عن بدو ليسوا من الشعراء . . من هذه القصص « السهم الطائش » ولا أدري ما الذي حدا بالأستاذ كامل أن يختار هذه القصة والورد أمامه يَتْرى .. أي جمال يراه الأستاذ في قصة عاشق قتل عشيقته .. كم كان « السهم الطائش » غريبا بين « أجمل العالمين » و« مغفل وغانية » و« المداري على الندير » وغيرها من القصص الجميلة التي تجمع الرقة والمتعة في آن . غير أن هناك أقصوصة بل رواية من ثلاثة فصول عنوانها « المـآرب من الحبّ » . . محب باع حبيبته وكانت جاريته ثم رجعت إليه مرة أخرى . . موضوع جميل ولكنه صغير على رواية من ثلاثة فصول تنتقل مع أشخاصها من حجرة إلى حجرة ثم من بلد إلى بلد لتعرف نهاية متوقعة . ولو كنا رأينا في هذا الانتقال حادثاً أو شهدنا واقعة لهان علينا السفر الذي كان خلواً من أي شيء . . القصة جميلة والحوار جميل ، ولكنه كان محتاجا لشيء من الضغط .

لننتقل الآن إلى القاهرة لنشاهد « ست الملك في صحن الأزهر » . . . طريف هذا العنوان ، يراه القارىء فيتوقع قصة شائقة جميلة ؛ لكن الأستاذ كامل وفق إلى هذا العنوان دون أن يوفق إلى موضوعه إذ ليس في الأمر قصة ولكن هناك حُلماً .. كانت « ست الملك » موضوعا إنشائيا أحسن اختيار عنوانه . كانت صدمة لي أن أجده في أول القصص الحديثة ، وأشفقت أن أجد بقية الأقاصيص على هذا النمط ، ولكن . . . لم يكن الأمر كذلك . هناك قصة بعد « ست الملك » تدل على أن القلم ناضج وأن الأقصوصة الأولى كانت كبوة يتبعها القفز

والارتفاع . . « قبلة عند باب الضريح » أقصوصة وصورة من أجمل ما كتب فى هذا الباب . . وموضوعها السخرية من أولئك المشعوذين الذين يجلسون على أبواب الأضرحة يتخذون من الدين شراكا وحبائل . بعد هذا نجد « عش من الحديقة » . . قصة رمزية التوى بها الطريق فخرجت عن الرمزية ، ثم التوى مرة أخرى فعادت وهكذا . . الحقيقة أنها غير مفهومة ولعل الأستاذ كامل قصد بها صديقه « س » فحسب .

والأستاذ كامل دقيق الجسم سريع الحركة . وكذلك هو فى أسلوبه خفيف سريع التنقل يعتمد كثيرا على ذهن القارىء مما يكسب الأسلوب جمالا ويرغم القارىء على المتابعة فى يقظة ذهنية وديمة

ومائدة السمر فى مجموعها شهية أحسن الأستاذ كامل تنظيمها ، وإنا لنرجو أن يضاعف هذا الإحسان فى المجموعة القادمة إن شاء الله

ثروت أباظة

١ — أروع القصص
٢ — قصص من الحياة

للكاتب الانجليزي شارلز دكنز

[تعريب الأستاذ محمد عطية الإبراشي]

اختار الأستاذ محمد عطية الإبراشى مجموعة من قصص الأديب الإنجليزى المشهور « شارلز دكنز » وأصدرها فى جزأين تحت عنوان « المكتبة الثقافية » .

وقد عنى الأستاذ الإبراشى بتعريب هذه القصص ؛ لما تهدف إليه من غايات اجتماعية ، وما يتميز به أدب « دكنز » من معالجة كثير من نواحى الحياة القاسية فى المجتمع .

يقول الأستاذ الابراشى « وقد دعانى إلى تقديم هذه المجموعة شغف بالتقويم الخلقى ، وحب للاصلاح الاجتماعى ، فى مصر والشرق ، وما رأيته من التشابه بين الأمم فى الأحوال الاجتماعية التى تحيط بها من حين لآخر ، فالإنسان هو الإنسان فى غرائزه وميوله ، وما يتصل بشعب يتصل بآخر . وإنى آمل أن يكون لها فى مصر وجميع البلاد العربية من الأثر ما كان لها فى انجلترا من إصلاح اجتماعى وخلقى » .

ونحن مع تقديرنا للاهداف الاجتماعية التى ترمى إليها هذه القصص ، وللدوافع الطيبة التى حملت الأستاذ الابراشى على اختيارها ؛ ليكون لها من الأثر فى مصر والشرق ما كان لها فى بلاد الإنجليز — نخالف الأستاذ فيما يراه من التشابه بين الأمم فى الاحوال الاجتماعية ، والاتفاق فى الغرائز والميول ؛ فإن لكل أمة طبيعتها وخصائصها النفسية والاجتماعية .

على أن هذه القصص برغم ماتصطبغ به من ألوان محلية ، فإنها تمس الجانب الإنسانى فى كثير من المواطف المشتركة والشعور العام وتثير فى النفس كثيرا من عوامل العطف والرحمة على الفقراء والمحرومين

وقد اصطنع الاستاذ الابراشى فى تعريب هذه القصص أسلوب « المدرس » الذى يعنى بعرض الفكرة وإبراز جوانبها فى صورة بيانية ، وعبارات مختارة « بحيث يجد القارىء ثروة فكرية ، وخيالية ، ولغوية ، فى كل قصة يقرؤها » كما حرص على ضبط كثير من الكلمات وتذييلها بالشرح والبيان .

محمد كامل حته

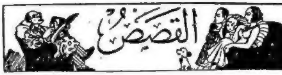
الكميت بن زيد

شاعر العصر المروانى

[للأستاذ عبد المتعال الصعيدى]

من الشعراء الذين ظلمهم التاريخ الأدبى ورماهم بالخمول فباءوا فى الأعصر المتعاقبة بهذا الوزر ، الكميت بن زيد ، فقد أخذ عليه سبيل الشهرة شعراء ثلاثة استبدوا بالمجال وتفردوا بالعناية ، وهم الفرزدق ، وجرير ، والاخطل ، حتى كاد يغمره النسيان ، والكميت فى رأى المؤلف أعظم من هؤلاء الشعراء وأحق منهم بالتقديم . وقد عز عليه أن يجنى الجهل أو التجاهل أو التحامل على هذا الشاعر فشمر لإنصافه ، ورد حقوقه ، والتمكين له حيث يجب أن يأخذ مكانه اللائق ، فدرس هذا الشاعر وأبان عن خصائصه الفنية ، وصور لنا البيئة التى كان يحيا فيها — الكميت — وقد مهد لهذه الدراسة بهذا التمهيد الذى تناول فيه الاجتهاد فى الأدب ، وفتح الكميت فى الشعر ، وتعصب بنى مروان عليه ، وجمود الشعر فى عصرهم ، وتجديد — الكميت — وشهادة الفرزدق له ، وأثره فى سقوط بنى مروان وتناول حياته ومنزلته فى الشعر ، والهاشميات ، وأشعاره الأخرى ومناقضاته ، ومؤاخذات — الكميت — ثم ختم هذه الدراسة بديوان الهاشميات ؛ وهذا أجمل وأحق ما يجب بذله إزاء هؤلاء الأشخاص الذين لأمر ما وقف منهم التاريخ هذا الموقف الغامض الظالم .

محمد عبد الحليم أبو زيد



روائع ملخصة من قصص الحب العالمية

١ - بول وفــرجيني

للكاتب الفرنسي برناردين دي سان بيير

بقلم الأستاذ علي محمد سرطاوي

حياة المؤلف :

« ولد في مدينة الهافر في فرنسا عام ١٧٣٧ ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره ، رحل إلى جزر المارتنيك الأمريكية فأثارت الرحلة في نفسه رغبة شديدة في دراسة نباتات المنطقة الحارة ولما أتم دراسته وتخرج في فن الهندسة ، التحق بخدمة الجيش الروسي ، مدة قصيرة ، ثم رحل إلى جزيرة موريشوس Mauritius في المحيط الهندي ، وكانت تابعة لفرنسا في ذلك الوقت ، فأفادته تلك الرحلة علماً . وعاد إلى فرنسا عام ١٧٧١ يعتنق آراء جان جاك روسو الحرة فيما يتصل بالحضارة وأنها مفسدة لطبيعة الانسان . وفي عام ١٧٨٤ نشر ثلاثة مجلدات تحت عنوان : « دراسات في الطبيعة » قال عنها العلماء في عصره إنها أفكار شعرية أكثر منها أفكار علمية ، ولم تصادف ما كان يقدر لها من الانتشار .

وبعد سنوات قليلة نشر قصة « بول وفرجيني » فلقيت رواجاً عظيماً ، وعين بعد ذلك مديراً لحدائق النبات الملكية ثم استاذاً للدراسات الأخلاقية . ولما أحيل على التقاعد زمن نابليون بونابرت أجزل له العطاء فعاش سعيداً في عزلة شعرية ، ورزق في هذه الفترة طفلة سماها (فرجيني) ولما بلغ سن الواحد والستين من عمره رزق طفلا سماه (بول) . وعاش المؤلف بعدها إلى السابعة والسبعين ومات سنة ١٨١٤ قبل موقعة واترلو بسنة واحدة » .

القصة :

أراد المؤلف من قصته الوصول إلى غايتين : الأولى تصوير تربة ونباتات المنطقة الحارة وما بينها وبين أوربا من فروق .

الثانية : أن يرسم صورة رائعة لمجتمع ساذج مثالي لم تعرف المدنية الطريق إليه .

الراوية : شيخ صادفه المؤلف خلال إقامته في جزيرة موريشوس قال الشيخ :

في أوائل القرن الثامن عشر ، عاشت سيدتان متجاورتان في بقعة قريبة من ميناء سنت لويس . كانت إحداهما مدام دي لا تور ، وهي أرملة شاب نورمندي ، مات وهو يحاول ابتياع عدد من الرقيق في جزيرة مدغشقر ، وكانت الأخرى شابة ريفية من مقاطعة بريتاني واسمها مرغريت ، فرت من مسقط رأسها لتفتش عن عالم جديد لا يتصل علمه بزلة اقترفتها . ولدت للأولى طفلة سمتها (فرجيني) وولد للثانية طفل سمته (بول) . عاشت السيدتان في ود متبادل ، تتعاونان على ما تطلبه الحياة من كدح وجهود .

وشب الفتى والفتاة وفي نفسيهما شعور الأخ لأخته ، ولما بلغا أشدهما كان في نية السيدتين تزويجهما وربط قلبيهما برباط متين من قداسة الزواج ، لولا أن حاكم الجزيرة اقترح إرسال فرجيني إلى فرنسا لتتابع دراستها عند أقربائها الأغنياء هناك ... وقد اتفق الرأي على ذلك ودنت ساعة الوداع والفراق .

* * *

دنت ساعة العشاء فالتففنا حول المائدة ، وحالت المواطف المتباينة التي تعصف بنفوسنا بيننا وبين الطعام ، إذ كان يلفنا صمت رهيب ... وكانت فرجيني أول من ترك المائدة وتبعها بول وشيكا ، واتخذا مجلسهما تحت ظل هذه الشجيرات التي تتفيأ ظلها الآن وصمتا ... وكانت الليلة نموذجا رائعاً لليالي المناطق الحارة الساحرة التي يعجز القلم عن وصفها : فقد أطل القمر من السماء وعلى جوانبه هالة فتانة من غيوم مبعثرة موشاة باللجين ؛ وأخذ نوره ينتشر ويمتد إلى جبال الجزيرة ، وبدت قممها البعيدة غارقة في يم عميق من النور ؛ وسكنت الريح ، وأخذت الأحراج البعيدة والوديان العميقة والقمم الصخرية الحالمة تردد صدى أصوات جميلة من حناجر الطيور التي طفقت تتداعب في أعشاشها مرحة بما يضفيه عليها جمال الليلة من فرح وحنان ورغبة في

الوجود ... ، وتلألأت النجوم فى محيطها البعيد مضطربة تبعث بنورها إلى الدنيا النائمة وكأنها عبات يطفن بحبيب ...

كانت فرجينى تتطلع إلى الأفق البعيد وكأنها تفتش عن مجهول ، فرأت على جبين الأفق مما يلى الميناء أنواراً حمراء مبعثرة على الشاطئ ، من قوارب الصيد ، ورأت نوراً قويا وقد وقف إلى جانبه خيال جسم كبير ... فأعادها ما رأت إلى نفسها وأيقنت أن ذلك الجسم الكبير ليس إلا تلك السفينة التى ستفرق بينها وبين بول ، فأدارت وجهها وهى تغالب مالا تحتمل من آلام قلبها مخفية دموعها عن الذى تبكيه . وكنت أنا ومدام دى لاتور ومرغريت غير بعيدين عنهما ، وقد ساعدنا سكون الليل على الاستماع إلى مادار بينهما من حديث ما زال يعيش فى ذاكرتى :

بول : لقد علمت بأنك ذاهبة عنا وشيكا إلى فرنسا ، وكأنك غير وجلة من أخطار البحر التى كان يرعبك مجرد ذكرها ! ؟

فرجينيا : إنما هو واجب علىّ يتطلب منى إطاعة أهلى .

بول : اتتركيننا من أجل قريب بعيد لم تقع عينك عليه ؟ !

فرجينيا : شد ما يؤسفنى أن أكون مضطرة إلى ذلك ! فوالدتى تدفعنى إليه ، والكاهن الذى اعتدت أن أعترف له قال لى : إنها إرادة الله ، ولا بد من الذهاب ، وان الحياة مسرح للتجارب ... ويا حسرتاه ! ما أمر ذلك وأوجعه فى نفسى !

بول : ماذا ؟ ! تجدين أسبابا كثيرة لتبرير ذهابك عنا ، ولا تجدين سبباً واحداً لبقائك بيننا ! ! السبب الحقيقى لسفرك تذكريه ! إنه الثروة التى تغرى النفوس ! إنك لواجدة فى ذلك العالم الذى ستذهبين إليه الثروة وإلى جانبها أشخاصاً أكرم منى مولداً وأرومة وأوسع ثراء ، تستطيعين فى سهولة ويسر أن تتخذى منهم أخا وصديقا ! شدّ ما يؤلمنى أننى لا أستطيع أن أقدم إليك شيئاً من هذه الأمور ! أتكونين أسعد منك الآن إذا تم لك ذلك ؟ ! أى شاطئ ستذهبين إليه وتجدينه أعز عليك من هذه البقعة التى فتحت عينيك على نور الحياة فيها ؟ وأية مخلوقات فى مقدورك إيجادها أحب إليك وأحنى عليك منا ! كيف تحتملين العيش بعيدة عن حنان أمك الذى اعتدت عليه وماذا يكون شأنها ، وقد تقدمت بها السنون ، حينما تتلفت فلا تجدك على المائدة إلى جانبها ، ولا تستعين بك إذا ما همت بالتحرك من مكان إلى مكان ! ! ماذا يكون حظ أمى من اللوعة عليك وهى تكن لك أقوى العواطف وأخلصها ؟ ! ماذا أستطيع من القول لهما وهما تجهشان فى بكاء مرير موجع عليك ؟! أما عن نفسى ! فلا أقول لك شيئاً أيتها الظالمة ! ماذا يكون مصيرى حينما لا أراك فى الصباح ، ولا نتلاقى فى المساء ! وعند ما أحدق فى هاتين النخلتين اللتين غرستا يوم ولادتنا ، واللتين بقيتا شاهدتين على ودنا الذى لا يزول !

ليس فى مقدورى أن أثنيك عما اعتزمت ! ولكن أليس فى استطاعتك السماح لى بمرافقتك وركوب البحر إلى جانبك ! سأحرسك من عواصف البحر وأحميك ! سأضع رأسى على صدرك وأبعث الدفء من قلبى المحترق إلى قلبك الرحيم ، وهناك فى فرنسا سأكون خادمك الأمين ، وإذا احتاجت سعادتك إلى حياتى فسأبذلها رخيصة تحت قدميك !

وما وصل إلى هذا الحد من الألم حتى غلبت عاطفته المنيفة لسانه عن الكلام فصمت ... واستمعنا بعد ذلك إلى فرجينيا تتحدث إليه بصوت مرتجف تقطعه شهقات من بكاء عنيف مكبوت .

* * *

قالت فرجينيا : إننى مغتربة لأجلك !؟ أنت الذى أراه يرهق جسده بالعمل المضنى كل يوم ليقيم أود أسرتين بائستين ! وإذا كنت قد قبلت هذه الفرصة لأكون غنية فذلك لأننى أود أن أرد لك جميلك مضاعفاً ألف مرة ! أتحسب أن كنوز الدنيا تعادل حبى وحنينى إليك ! لماذا جرحت عواطفى بالتحدث عن نسبك ؟ وإذا كان ممكنا أن أختار لى أخا ، فهل تحسب أننى أعدوك فى الاختيار ؟ إنك يا بول لأعز إلى قلبى من الأخ والأهل جميعاً ! كم جاهدت نفسى لأروضها على احتمال البعد عنك ! ، أعنى على انتزاع نفسى من هذا المكان العزيز إلىّ كالحياة نفسها ، إلى أن يبارك الله زواجنا حينما أعود إليك . إننى أستطيع احتمال كل لون

من ألوان الألم والحرتان فى الحياة ولكننى لا أستطيع احتمال منظر هذا الحزن العميق المخيم عليك !

وما كادت تتم فرجينيا حديثها حتى صرخ فى ألم حزين وضمها إلى صدره وهو يصيح : سأذهب معك ! لن تستطيع قوة فى الدنيا التفريق بيننا !

واقتربتا منهما فقالت له مدام دى لاتور أم فرجينيا : يابنى ! وماذا يكون مصيرنا إذا ذهبت معها ؟

قال بول فى صوت متهدج حزين يردد ما قالته : يا بنى ! يابنى! أنت الأم التى تريد التفريق بيننا ، كيف تريدين ذلك وقد نشأنا أخوين لا نفترق أبدا ! كيف ترسلينها وحيدة إلى أوربا ، إلى تلك البلاد غير الكريمة التى ضنت عليك بمأوى فى الماضى ! وإلى أقارب لم يسألوا عنك وعنها أبدا ؟ فى استطاعتك القول إنها ليست شقيقتى وأن ليس لى سلطان عليها . إنها كل شىء لدى ! هى ثروتى ، وحياتى ، وأسرتى . لقد جمعنا فى الماضى سقف واحد ومهد واحد ، وسوف يجمعنا قبر واحد أيضا ! فإذا ذهبت فإنى لاحق بها .

سيمنعنى الحاكم من ذلك كما يخيل إليك . وهل يستطيع الحاكم منعى من إلقاء نفسى فى البحر ؟ هل فى مقدوره منعى من اللحاق بها سابحا ؟

سيكون البحر أحب إلى من اليابسة بعد سفرها على متن أمواجه ! وما دام قد قدر لى أن لا أعيش معها فلا أقل من أن أموت وأغمض عينى وهى آخر ما أبصر فى الوجود . أيتها الأم الوحشية ! أيتها المرأة التى لا تعرف الرحمة ! ليت المحيط الذى تدفعين بها إليه ألا يرجعها إليك أبدا ! وليت الأمواج التى ستعيد جسدى وجسدها إليك يثير مرآها عذابا لا ينقطع من تأنيب الضمير فى قلبك الجلمود !

فأسرعت إليه وأمسكت بذراعيه ، لأن اليأس قد جرده من عقله ، فقد جحظت عيناه ، وتصبب جبينه عرقا ، واصطكت ركبتاه ، وأحسست بقلبه يخفق خفقانا شديدا .

قالت فرجينيا : يا عزيزى بول ! إننى لأشهد أيام طفولتنا الناعمة وآلامك وآلامى ، وكل ذكرى حبيبة يمكن أن تربط مخلوقين بائسين مثلنا ، بأنى سأكون لك ! إننى لأسألكم أن تشهدوا أيضا أيها الذين ربيتمونا منذ طفولتنا على ما أقول ! وأنت ياربى الذى لم أدنس اسمه الكريم بالكذب كن شاهدا على ! وأنت أيها البحر الذى سأعتلى متن أمواجك ، ويا أيها الهواء الذى أملأ رئتى منك — كونا شاهدين على ما أقول !

لقد عاد إليه هدوؤه ، فطأطأ رأسه على أثر سماع كلماتها الحبيبة وبكى بكاء مرا اختلطت دموعه بدموع أمه التى أسرعت إليه تحتضنه وتردد صدى آلامه بسيل من الدموع . ثم قالت لى مدام دى لاتور : إننى لا أستطيع احتمال هذا ، فلن تذهب ابنتى إلى فرنسا مهما كان الثمن الذى سأدفعه . خذه معك إلى منزلك فلم يذق أحد منا النوم منذ أسبوع ونحن على مثل ما ترى من اللوعة والحزن والدموع .

قلت لبول : إن فرجينيا لن تسافر يا بنى ، وغدا سنتحدث إلى الحاكم فى أمر بقائها . هيا بنا إلى منزلى واترك فرصة لأسرتك تذوق بعض الراحة ، فقد انتصف الليل . استجاب بول إلى رغبتى متحاملا على نفسه يجر رجليه خلفه وكأنما مربوطتان فى جسم غيره وقضى الهزيع الأخير من الليل فى نوم قلق متقطع ... وعاد مسرعا إلى أسرته عند بزوغ الفجر .

* * *

سافرت فرجينيا إلى فرنسا وأدخلتها عمتها الغنية إحدى المدارس ، وبعد عامين أعدت لها زواجا ملائما رفضته الفتاة رفضا قاسيا احتفاظا بالعهد الذى قطعته على نفسها لبول . وما عتمت أن فرت إلى المحيط الهندى على ظهر سفينة كانت تقصد الجزيرة ، وما كادت تقترب من الشاطىء حتى ثارت عاصفة أغرقت السفينة وغرقت مع الركاب فرجينيا التى كانت تطوى نفسها على أسعد ما تكنه النفوس من الفرحة بلقاء بول ووالدتها والجزيرة والشجيرات .

وحاول بول أن يصارع العاصفة فيصل إلى السفينة قبل غرقها ولكن الموج رده إلى الشاطىء مهشما محطما ، وما لبث أن مات ودفن إلى جانب فرجينيا فى قبر واحد .

على محمد سرطاوى

استعنا على تلخيص الرواية بكتاب :

Great Love Scenes From Famous Novels Mason